مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

العدد الثامن و العشرون من مجلة الملحدين العرب لشهر مارس / آذار لسنة 2015

تطور النظرة المسيحية تجاه المرأة

Raghed Rustom



مصري ملحد .. في حوار مع (٢)

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز (٤)

Matheos Harison

المشي نياماً نحو هرمجدون

McKie Theman

مجلة الملحدين العرب هي مجلة هدفها نشر أفكار الملحدين العرب على إختلاف توجهاتهم السياسية و العرقية بحرية كاملة

المجلة عبارة عن مجلة رقمية مبنية بجهود فردية ولا تنتمي لاي توجه سياسي ..

كلمة تحرير المجلة

حزن العالم على آثار متحف نينوى بالموصل والثيران المجنحة الآشورية ومدينة نمرود التي هدمها داعش. بينما تخبط المسلمون كالعادة بين مؤيد ومعارض. فالأصوات المعارضة خجولة سرعان ما تصمت أمام سيل المؤيدين الذين أغرقوهم بالأدلة والثوابت على هدم الأصنام والتماثيل، في حين اكتفى البعض الآخر بالاحتجاج أنها لا تعبد ولو كانت تعبد لحق لهم تحطيمها!

في الحقيقة إله الإسلام الوهمي الطفولي ، يرعد ويزبد لكل رسم أو نحت، لأنه يخشى المنافسة في الخلق! فهذه الفنون وهذه الإبداعات لا مكان لها في الإسلام، سواء كانت تعبد أو لا تعبد! داعش هنا يسير على خطى الأنبياء في تحطيم الأصنام، فلا لوم عليه، تعلموا أن يفرضوا معتقدهم بالقوة كما فعل محمد من قبلهم، وما الحضارات السابقة العريقة إلا تذكيرًا لهم بأنهم بدون حضارة، فلماذا يبقون على آثارها؟

وقد قيل أن أغلب آثار المتحف جبسية مقلدة وليست أصلية، وأن الأصلية موجودة في متحف اللوفر، هذا أمر جيد، ونتمنى من منبرنا هذا أن يتم نقل كل الآثار إلى المتاحف الغربية حتى نحافظ عليها من بطش رعاع الصحراء، أما المنحوتات الصخرية وبوابة نركال وبقية الصروح كانت حقيقية ومن المستحيل نقلها وقد تم القضاء عليها للأبد.

فمن لا يعرف قيمة التاريخ كيف سيبني الحاضر؟ نحن لن نتوقع منهم إلا ما فعلوه وما سيفعلونه، أتباع ثقافة الموت والإرهاب وعداء الفن والحضارة، لاجديد تحت الشمس، وستبقى الحضارات شامخة ويبقى الفن والجمال مستمرًا بينما هم أقزام التاريخ لن يرتبط ذكرهم إلا بالخراب والدمار، فهنيئًا لهم.

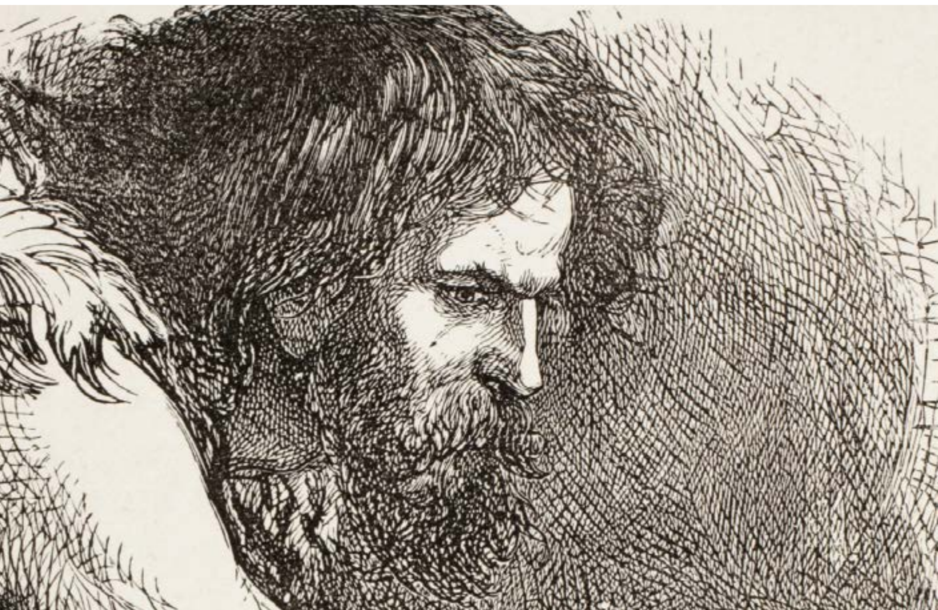
رئيس التحرير
Gaia Athiest

الفهرس







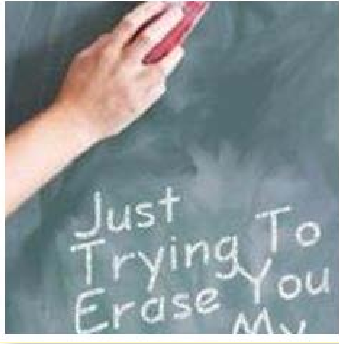






ابتهالٌ أم ابتذالٌ





Hunger Mind

للتّعرف على حقيقة شيءٍ ما، ما عليك سوى أن تُركز في مصادره الأساسية أو الفرعية، و كمثال على ذلك خذ الدّيانة المسماة الإسلام ، يمكنك أن تستشف بكل وضوحٍ وسهولةٍ الينبوع المعرفي المُحرك لها، ولكنّنا كلنا كالعادة -وأنا منكم- نرى في أمّهات النّصوص لهذه الدّيانة، ومتون كتبها المنهل الأوحد أو الأوثق، وهذا ما ثبت خطأه مؤخرًا-وبنسبة معقولة-.

هناك ابتهالٌ دينيٌ «للشّيخ عبد العظيم رمضان»، يُكرر دائمًا على فتراتٍ على إذاعة القرآن الكريم، وكان هو ما دفعني لكتابة مقالي هذا، حيث سمعته يُردد وسط سكون اللّيل، وأنا أذاكر دروسي، يقول فيه -وتأمل عزيزي القارئ هذا الكلام:

يارب وحّد شملنا واجمع على الحقِ البلادا
واجعل حدودًا فرقتها لاتفرقها ودادا
مانحن إلا أمة ٌحملت رسالتها جهادا
قادت بأيديها العدا أسرى وتأبى أن تقادا
إني لأبصر روحها فأرى بها السبع الشدادا
والغيب والتاريخ تحت ظلالها وجدا مهادا
وأرى النبي وجنده حملا لها ماءً وزادا
يارب فانصر جيشها وأعنه إن خاض الجلادا
من أجلها حمل البنادق أو لها ركب الجيادا



Hunger Mind



ابتهالٌ أم ابتذالٌ

في الحقيقة وبدون مبالغة، وبرأيي المتواضع إنّ هذا الابتهال يدخل ضمن باب التّفكه لا الاعتقاد، وهو حلقةٌ من حلقات مسلسل تغييب الوعي وتسطيح العقول، أو باختصارٍ هو عبارةٌ عن «التّعلق بأحلامٍ باليةٍ، وأماني أكد التّاريخ المُستشهد به هنا أنّها ليست إلّا محض هُراءٍ.



وكما يقول الشّاعر:

«أُعَلِلُ النَّفْسَ بِالآمَالِ أُرقِبُهَا... ما أضيق العيش لولا فُسحةً الأملِ»

فمنذ ولدت ووُجدت على هذه البسيطة؛ وأنا أسمع مشايخ المساجد يتقربون إلى ربهم بتحرير المسجد الأقصى، توحيد كلمة المسلمين، وتمني الويل والثّبور وعظائم الأمور لكل من عادى مُحمدًا وصحبه.

وكأنّ الأمر يسير مع الذّات الإلهية المُتوسلُ إليها من قبل المسلمين، يسير بعلاقةٍ عكسيةٍ بيّنةٍ لا ريب فيها ولا جدال، فكلما ازداد دعاؤهم لهيبًا وإخلاصًا، كلما ازداد بنو صهيون – كما يسمّونهم - بالقدس تنكيلًا، وكلما اتقدت أماني الويل والثّبور، كلما ازداد الغرب الصّليبيُ العلماني، الكافر الملحد، ازداد تقدمًا وازدهارًا، ورفعةً وسيطرةً... ممّا يفتح باب التّساؤل بمنتهى البراءة عن سرّ هذا التّناسب العكسي، ثمّ وهل أنا وحدي من خطرت بباله فكرة هذا التّناسب العكسي، أم ببال كل من حضر كل تلك الجُمْعَات، واستمع لدعاءٍ يُكرر منذ أبد الآبدين.



Hunger Mind



ابتهالٌ أم ابتذالٌ

ربما لو عكسنا آلية الدّعاء، ووفقًا لتلك العلاقة العكسية المؤكدة من قبل الرّب، فقد تأتي استجابته عكسيةٌ أيضًا، فلربما نتقدم نحن ويتقهقرون هم، وهذا هو اقتراحي وتساؤلي الذي واجهت به أحد المشايخ منذ سنواتٍ، فما كان منه سوى انقلب علي وقال :«استغفر ربّك يا أخي، فلقد تمكن منك الشّيطان».

توحيد الشّمل، هو الآخر مَدٌّ لخط التّمني والأحلام على طوله، فالوحدة لا تُنال بالتّمني، ويصدق هنا القول المحسوب على الإيمان الإسلامي، « ليس الإيمان بالتّمني ولا بالتّحلي، ولكنّ ما وقر في القلب وصدّقه العمل»، ولك عزيزي القارئ أن تستبدل كلمة الإيمان في النّص بكلمة الوحدة.. فتأملْ!!!



فبدون عملٍ ولا تخطيطٍ ولا رؤيةٍ ثاقبةٍ، لن نكون سوى قُطعانًا من الحيوانات، ولنا في تجربة مصر وسوريا أسوةٌ حسنةٌ.. فالعيب في نفوسنا القذرة، وطويتنا الخبيثة، وتَضَاد الشّريعة الغرّاء على طول الخط مع قيم التّمدن والحاضر المعاصر، حيث أنّ ما يجمع البشر ليس سوى المصالح والاتفاقيات، لا قال الله ولا قال رسوله، فالإسلام لا يعرف المواطنة ولا يُقرّ بالقومية، وما العُصبة المؤمنةُ وفكرة الحَاكِمية إلّا خير دليلٍ على ذلك... ولنا في كتابات جهابذة الإسلام في نَقض القومية، والاستهزاء بفكرة الوحدة كذلك لأسوةٌ حسنةٌ.

مفهوم الحق اعتباريٌّ، بمعنًى أخر نسبيٌّ، فأيّ حقٍ تبتغى؟ وأيّ حقٌ ترتجي؟ ومنِ المُوكل والقائم على هذا الحق؟ وما أدراك بأنّ الحق أصلًا في صفك، وأنّه ليس مع سواك سوى باطلٌ!!

فماهي حقوق المسلم الصّربي مثلًا تُجاه المسلم الماليزي، فالحق كفكرةٍ أخلاقيةٍ قائمٌ على التّواصل المشترك، وعلى المصلحة الجامعة...

حدودًا فرقتها، لا تفرقها ودادًا، لن أعلق هنا إلّا بمثلٍ شعبيٍ مصريٍ دارجٍ وهو« يعيني على الحلو، لمّا تبهدله الأيام» ممّا يؤكد على أنّ مفهوم الدّولة لا يوجد ابتداءً في أبجديات الإسلام.



Hunger Mind



ابتهالٌ أم ابتذالٌ

حملت رسالتها جهادًا، والجهاد نوعين: جهاد السّيف، وجهاد الكلمة، أو كما يُعرّف اصطلاحًا وشرعًا بجهاد الدّفع، وجهاد الطّلب... وأحيل القاريء هنا إلى الفيديو المعروف لحجة الإسلام العلّامة " الحويني " عن رؤيته للجهاد، وأنّ من مات ولم تحدثه نفسه بالجهاد -قتال غير المسلم- مات ميتةً جاهليةً ، ولك هنا أيها القارىء أن تربط بين جاهلية سيد قطب، وجاهلية الحويني... فتأمل.

وأنّ الواقع المُدنس يشهد أنّ هؤلاء لا يعرفون إلّا جهاد السّيف، فالكلمة عندهم مبتورةٌ، وأصحابها مُخَوَنُونَ، مُتهمون بالعمالة، وما نصر أبو زيد وفرج فوده إلّا خير دليلٍ من قائمة يطول ذكرها.

قادت بأيدها العِدا قسرا وتأبى أن تقادا
لاحظ نغمة العنصرية والاستعلاء في النّص على صغر حجمه، واسأل نفسك، فهل حقًا الإسلام دين الرّحمة، انتشر بالحب والمودة كما لقنونا دائمًا، أم انتشر بالسّيوف والرّماح، بطريقة عمرو بن العاص التي دخل بها أرض مصر؟؟

وهل أساس الجزية كمبدأ إسلاميٍ هو سنُ وتشريع التّكافل - وركزْ على كلمة «قسرًا»- أم هدفها هو تكريس عبودية غير المسلمين والاستعلاء عليهم.

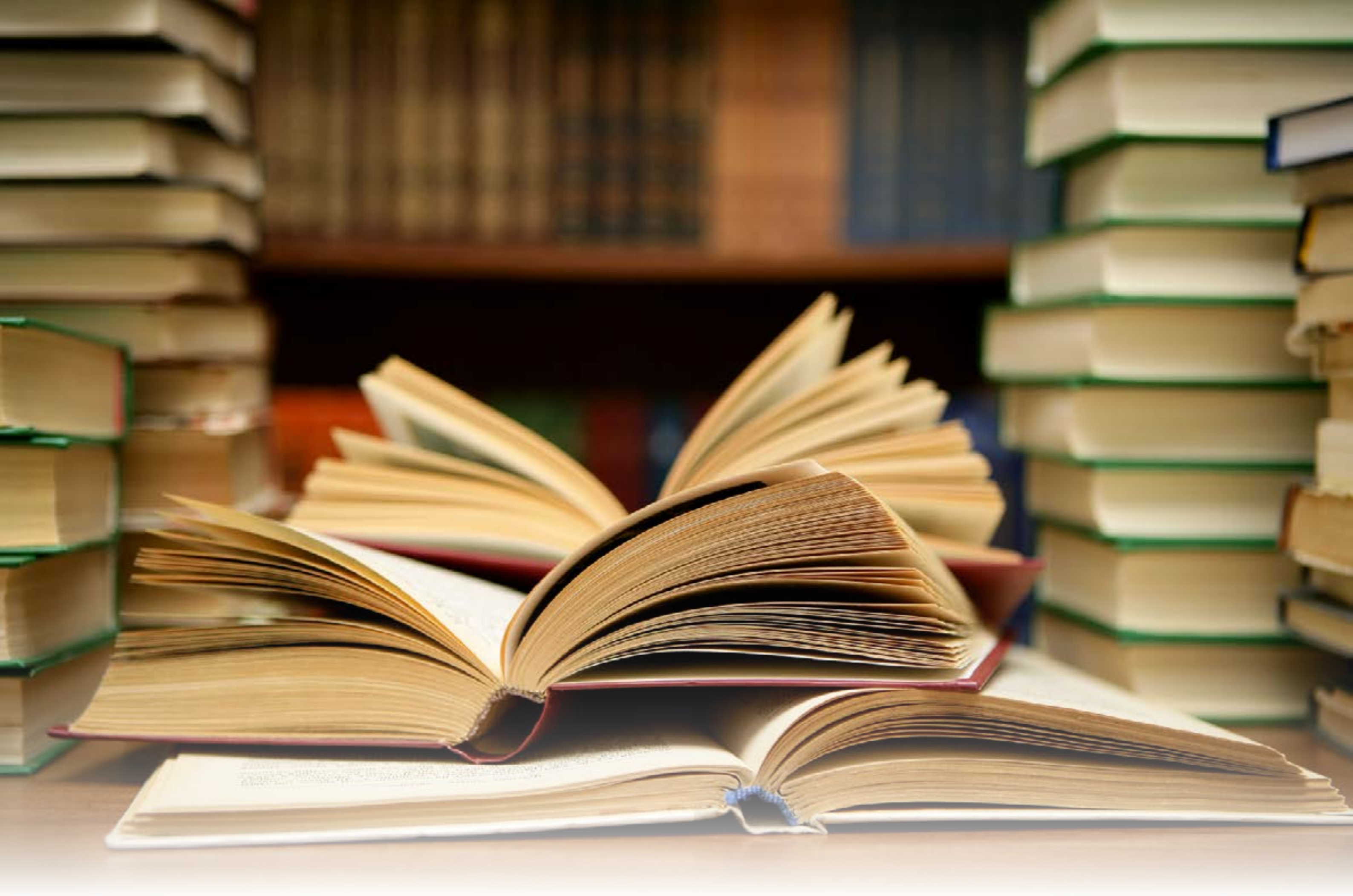
واربط كلمة «قسرًا» مع قوله في القرآن «عن يدٍ وهم صاغرون»، تَتَكشف لك المعاني ويزول عنك اللُّبس.

تأبى أن تقادا، كلمة حقٍ يراد بها باطلٌ، المسلمون لم ولن يكونوا أبدًا سادةً، وأنا لا أعتد بماضٍ تليدٍ، لم أعشه ولم أعرفه، لأنّي أصلًا لا أثق في حُجية رُواته، فيكفيني كون المسلمين هُمُ الأرذل الآن، وصدق فيهم قول القرآن «لا يزيدونكم إلّا خبالًا» فالآن هم في قمة الهرم الاستهلاكي، وفي ذّيل الرّكب العلمي المعرفي، مُسطحين مُعممين، كسالى متربعين على عرش مشاهدة الأفلام الإباحية.. رقيقٌ بالوكالة - محاربون درجةٌ ثالثةٌ- لمن يدفع أكثر، وما اعترافات بعض الجنود الأفغان إلّا خير دليلٍ على كون المسلمين أبد الدّهر بُهمًا يساقون.

ماذا فعلت الشّريعة الإسلامية مع الصّدر الأعظم العثماني.
وما الذي حققته باكستان على يد المرتزق أبو الأعلى المودودي.
وما جنته السّودان على يد مُخربها البشير.

فالآن أقولها وبكل ثقةٍ...
ضع الإسلام في جملةٍ مفيدةٍ، فإن عدت إلي وسألتني ماهي، قلت لك إنّها «الخــــراب».

مجلة توثيقية علمية إلحادية



شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

facebook group :https://www.facebook.com/groups/358777197583418

Blog : https://www.aamagazine.blogspot.com

facebokPage : https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299



Hasna

Nina Serena

اعترافات مسلمةٍ سابقةٍ



Hasna Nina Serena

اعترافات مسلمةٍ سابقةٍ

أريد أن أعترف، أريد أن أبوح بكلّ شيءٍ، أمام الجميع، أريد أن أتكلّم عنّي، وعن كلّ امرأةٍ كان الإسلام يوماً يصول ويجول في تفاصيل حياتها، عابثاً بأفكارها وتصرّفاتها، بمحض إرادتها، أريد أن أعترف كم أرهقني الإسلام، كم استنزف قواي، كم ضغط علي، حتى لم أعد أتحمّل المزيد فنبذته ولم أنظر ورائي...

أعترف أنّي كنت أعيش عذاب ضميرٍ قاتلٍ بسبب عدم قدرتي على الانتظام في أداء الصلوات، كم كنت أكره الصلاة؛ وكم كنت أكره نفسي لأنّي أكره الصلاة، أقرأ وأقرأ وأقرأ عن أُناسٍ يحبّون الصلاة ويرتاحون بها ويخشعون فيها، حتى تتحطّم الجدران والبيوت من حولهم فلا ينتبهون ولا يتحرّكون من شدّة خشوعهم فيها، فلا أملك إلاّ أن أشعر بالاحتقار تجاه نفسي، لأني لستُ مثلهم، لا أحسّ بما يحسّون ولا أغرق في عبادتي كما يغرقون.

أعترف أنني كنت أعيش حالةَ تحسّرٍ دائمٍ عند نهاية كلّ يومٍ، أضع رأسي على الوسادة وأبدأ في محاسبة نفسي وتعديد إنجازاتي، فأجدني قد اعتنيت بكلّ شيءٍ بيتي، عملي، دراستي؛ آه لِمَ لا أجد بين انجازاتي قراءةَ القرآن، لِمَ لا أجد الدّعاء والذكر، أين الاستغفار عشرين مرّةٍ؟ أين الصلاة على النبي مئة مرّةٍ؟ أين التسبيح والتهليل والتكبير؟

أعترف أن الإحساس بالذنب لم يفارقني يومًا، فها أنا أتمرّغُ في نعم الله الكثيرة من سمعٍ وبصرٍ وعقلٍ و.. و.. و.. لكني لم أكن يوماً شاكرةً لله حقّ شكره، ولا حمدته كما ينبغي لجزيل نعمه وعظيم آلائه، كم عذّبني تقصيري في حقّ الله.



أعترف أن الإحساس بالرقابة الإلهيّة الدائمة لتصرّفاتي كان ينهكني، فمن أنا حتى لا أرتكب الذنوب؟ حتى في أحسن الأيّام أتذكّر أن النبي قد قال: إنّ صمتنا في غير ذكر الله لهوٌ وعبثٌ، فأقول في نفسي متى يملأُ الله قلبي فلا أفكّر في غيره ولا أنشغل عنه بسواه؟ ثم من أنا حتى لا أرتكب المعاصي؟ من أنا حتى أقاوم سماع الموسيقا والغناء؟ من أنا حتى لا أشاهد التلفاز؟ ألستُ أنظر إلى رجالٍ لا يحلُّون لي؟ ألم يأمر النبيّ بعض النساء بالتحجّب في حضرة ابن أمّ مكتوم، وهو أعمى؟ ألم يقل لهنّ إنهنّ، وإن لم ينظر ابن أم مكتوم إليهنّ فهنّ ينظرن إليه !!!



Hasna Nina Serena

اعترافات مسلمةٍ سابقةٍ

أعترف أنّي كنتُ أستشعر خجلاً كبيرًا من نفسي، بسبب أفكارٍ شيطانيّةٍ كانت تراودني فأسترسل فيها ناسيةً أن ربّي يعلم الجهر وما يخفى، أقول لنفسي إن الإسلام مخالفٌ لطبيعتنا كبشرٍ، بل جاء ليقمع فينا كل ما هو فطريٌّ، ألستُ امرأةً ككلّ النساء أحب أن أبدو جميلةً وأن يجدني الناس جميلةً، لكن الإسلام يقمع فيَّ هذه الرغبة، ها هو الله قد أعطى للفراشة الحرية في الرفرفة مستعرضةً ألوانها وحرمني، ها هو الله قد أعطى الزهرة الحرية في إغرائنا برونقها وعطرها وحرمني، ها هو الله قد أعطى العصفورة الحرية في أن تغنّي وتخلب الألباب وجعل صوتي عورةً وضحكتي جريمةً و تحجُّبي واجبًا، أستغفر الله وأتوب إليه.

أعترف أنني حتى في عزِّ تديّني، استمتعت في داخلي إن أبدى أحدهم إعجابًا بجسدي، أو تغزَّل أحدهم بعطري؛ أو استأنس أحدهم بصوت ضحكتي، ثم أعود ليلاً لوسادتي فتخبرني كم أنا خسّيسةً وعاصيّةً، إذ فضّلتُ أن يمدحني بشرٌ و يمقتني ربّ البشر.

أعترف أنني كنت في صراعٍ نفسيٍّ شديدٍ بسبب حبّي للحياة ورغبتي في الاستمتاع بملذّاتها. بل وتنافسي أحياناً على نيل هذه الملذات، ثم أتذكر أنني ما لهذا خُلقتُ ولا به كُلّفت، وأن الأَولى بي البكاء على وقتي الذي ضيّعته في غير التنافس على نيل الدرجات في الآخرة، والتقرّب من الله، فالسابقون السابقون، أولئك المقربون.

أعترف أن متابعتي وقراءتي عن علامات الساعة وما سيؤول له حال البشر عبر الزمن وصولاً إلى يوم القيّامة، كان يصيبني بكآبةٍ حادةٍ، ويجعلني أنظر إلى المستقبل بسوداويّةٍ قاتمةٍ، لا أتوقع إلا غرق البشريّة في المآثم والشرور، وابتعادها عن الإيمان والأخلاق والرحمة، كم سمعت من محاضراتٍ صوتيّةٍ تبشّر بالحروب بين يدي الساعة، وبالخراب والقتل؛ حتى يتمنّى الناس الموت فلا يجدونه من هولٍ ما يرونه من بشاعةٍ و نكدٍ، ولم يترك المشايخ شرًّا إلا وتوقّعوه لنا؛ حتى نغّصوا علينا بتكاثر الإناث على حساب الذكور وزواج الرجل بأربعين بدل أربعةٍ، لا حول ولا قوة إلا بالله!!





Hasna Nina Serena

اعترافات مسلمةٍ سابقةٍ

ثم عثرت على كتابٍ للشيخ محمد الغزالي يردّ فيه على الحديث القائل إنّ ما من يومٍ يجيء إلا والذي بعده شرٌّ منه، متمسّكًا بالحديث الذي يقول أمتي كالغيث لا يُدرى أوَّله خيرٌ أم آخره، واستبشرتُ خيرًا، وعاد لي تفاؤلي أنّ الغد أفضل وأننا قادرون على التغيير، ثم ما لبثتُ أن عثرت على عشرات الكتب التي تردّ على الشيخ وتتّهمه بإنكار السنّة الصحيحة.

بل كفَّرهُ بعضهم واستهزأ به، لِم يُصرُّ هؤلاء على دفع البشرية نحو اليأس والقنوط؟ ألا يدعونا حديثٌ كهذا إلى مقت الحياة واستبطاء النهاية؟

أعترف أنّ فكرة تعذيب أجسادنا في القبر بعد الموت كانت تقضُّ مضجعي وتنتزع النوم من عيني إذا ما خطرت على بالي، فأغرق في تساؤلاتي، كيف يصف الدين الملائكة أنهم كائناتٌ لا تعرف الشرّ ولا تؤمر به، ثم يحدّثنا عن ملائكة لا همَّ لهم إلا تعذيب الموتى، بعد أن غادروا الحياة بمتاعبها ومشاقّها ليرقدوا في سلامٍ!؟



(لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له)

أعترف أنّي كنت أكره الحب، وأكره أن أقع فيه، هل يستطيع بشرٌ سوِيٌّ تجنّب الوقوع في الحب؟ آه من الإسلام؛ بدل أن أعود سعيدة للبيت لأغرق في أحلامٍ ورديّةٍ بعد أن ظفرت بقبلةٍ من حبيبي بعيدًا عن عين كل رقيبٍ وحسيبٍ. كنت أعود حاملةً الخزي والعار، فها هو نبي الرحمة يخبرنا لأن يُطعن أحدنا في رأسه بمخيطٍ من حديدٍ خير له من أن يمسَّ من لا يحلّ له، يا لي من مستهزئةٍ بحدود الرحمن، لا بدّ أنّ كلّ الصعوبات التي تواجهني في الحياة الجزاء العادل لي على ذنوبي، لا بدّ أن الله يسلِّط عليّ الابتلاءات؛ ليُنقّيني من السواد الذي ران على قلبي من كثرة المعاصي .

أعترف أنّ مزاجيّة الله في تعامله مع البشر كانت تثير استغرابي وحنقي أحياناً، ألم يخبرنا النبي أنّا لن ندخل الجنة بأعمالنا، إنما برحمة ربّنا و عطفه علينا!!! كأن الأصل في التعامل معنا حرقنا، وإدخالنا الجنّة استثناءٌ لابد من الاستبشار به؟ من نحن حتى نستحق الجنة؟ هل أدّينا شكر شربنا للماء البارد على حد قول أحد الجهابذة؟ أعترف أنّي كنت أجد الله شرّيرًا عندما أتخيّله يتفرج علينا يوم القيامة، ونحن نتسابق على نهب حسنات بعضنا البعض وإثقال من شتمونا أو ظلمونا،



Hasna Nina Serena

اعترافات مسلمةٍ سابقةٍ

حتى لو كانوا أقرب الناس إلينا بسيئاتنا من هول خوفنا من دخول النار، يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكلّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه! تُرى هل يروقه أن يرى أُمي تلقي بسيئاتها في ميزاني لأني عصيتها يومًا لتنقذ نفسها من النار وترميني؟ ربما سيتدخّل حينها برحمته الشهيرة وينقذني؛ ليثبت لي أنه أرأف بي من أمي التي ولدتني، يا له من مشهدٍ بطوليٍّ!

أعترف أنني أرغمت نفسي باسم التّدين على الكثير من التصرّفات وعلى الكثير من الأشخاص الذين لا أطيقهم باسم صلة الرحم مثلاً، ها هي الرحم معلّقةٌ فوق عرش الرحمن تدعوه أن يقطعني لأني قطعت أشخاصًا لا أنتمي لعالمهم ولا ينتمون لعالمي، أجلس إليهم فلا أجد ما أقول من شدة غربتي الفكريّة عنهم، أعتصر الكلمات لأحدثهم فلا أزيد إلا أن أؤذيهم أو أتحمّل أذاهم؛ ثم أزداد حُنقًا حين أقرأ أن محبّة فلان واجبةٌ وطاعة عِلّان قربى، هل المحبة بالغصب؟



أعترف أنّ نظرتي للأشخاص من حولي، وتقييمي لتصرّفاتهم لم يكن دائماً مبنيًّاً على أساسٍ تقييمي لأخلاقهم ومعاملتهم لي، بل كان لمدى تديّنهم واحترامهم لأحكام الشريعة القول الفصل في مدى استحقاقهم لاحترامي وتبجيلي، أو احتقاري واستصغاري! بل وقد تُسوّل لي نفسي أن أنعت أحدهم بالجهل والتفاهة فقط لأنه لم يتعرّف على حكمٍ من أحكام الدين، أو لم يطبّق واجبًا من واجبات الإسلام؛ أتساءل كيف تجرأُت فلانةٌ على نسب نفسها للإسلام، وهي تنكر معلوماتٍ من الدين بالضرورة وتنفي وجوب الحجاب؟ ألا تقرأ القرآن؟ ألا تقرأ الأحاديث؟ ألا تخاف الله؟ تُصرِّح أحد المغنيّات بعد محنةٍ ومرضٍ مرّت بهما أن ما أنقذها من محنتها إيمانها العميق بالله ومداومتها على قراءة سورة يس!! هل تستحمق أم تستهبل؟ ثم أجيب: لا بدّ أنّهم جاهلون لدينهم، وأدعو لهم بالهداية والاستفاقة قبل فوات الأوان..

اعترافات مسلمةٍ سابقةٍ

Hasna Nina Serena

أعترف أنّني كنت إنسانةً تائهة وضائعةً وغلبـــــــــــــــــــــانةً (كما يقولها عادل إمام) بسبب حيرتي الفكرية و تساؤلاتي و شكوكي، وما زاد تعبي أنني كنت ألقي اللوم على نفسي وأتهمها بالتقصير في المطالعة . كلما قرأت مرجعًا بحثاً عن جوابٍ، وجدتني أزداد عطشًا للقراءة، فصحراء شكوكي شاسعةٌ، لا كتاب يرويني، ثمّ عثرَ عليَّ كتابٌ للقصيمي، لم يكن بأشهر مؤلفاته ولا ألذعها نقدًا للإسلام (يكذبّون لكي يروا الله جميلاً) أيقظني الكتاب من سُباتي. كلّ ما فعله أنه نزع هالة القداسة من عيني، أعطاني الجرأة لأنظر و أقرأ ما كنت أقرأه، وأحفظه قراءةً نقديّةً صارمةً؛ قراءةٌ لا تعاطف فيها ولا تسليم دون دليلٍ، وانهارت الأسطورة. وزُلزلتِ الأديان زلزالها وأخرجت الخرافات أثقالها.. أنا الآن حرّةٌ طليقةٌ، لا سلطان لأحد على عقلي ولا رقيب على ضميري غيري، أحب الحياة وأستمتع بها دون منغصاتٍ ومنكداتٍ؛ أسعى لأن أسمو بنفسي وبإنسانيّتي بعيدًا عن قرآن الله وأحاديث نبيّه، وأبحث لحياتي عن معانٍ وغاياتٍ بعيدًا عن جنّته وناره..

رسالة إلى الله(١)



أبو لهب

السلام عليكم،
أما بعد..

يسعدني أن أوجّه لجلالتكم هذه الرسالة، طالبًا سعة صدركم في قراءتها. أنا واحدٌ من مخلوقاتكم التي خلقتم على الكوكب الأزرق المسمى بـ «الأرض»، أنتمي إلى نوع الإنسان العاقل، من فصيلة القردة العليا. وُلدت في النصف الجنوبي السفلي من الكوكب كما شاء قضاؤكم وقدركم، حيث ينتشر الموت والقتل والاغتصاب والنفاق وانفصام الشخصية، وشتى الأمراض النفسية العصيبة.

رسالتي هذه، هي ردٌّ على الرسالة التي وصلتني منكم والتي أرسلتوها منذ ١٤ قرنًا، ولم تصلني إلّا مؤخّرًا نظرًا لبطء سُعاة بريدكم. ولكي أُصدقكم القول، هذه الرسالة وصلت في حالةٍ يرثى لها، وأخشى أنها لم تَسلم من التحريف والتحوير والتمزيق، فأتمنى من جلالتكم أن توضّحوا لي بعض الأمور..

تقول الرسالة، أنكم بكل شيءٍ عالمون، وأنّ قدرتكم السحريّة لا نهائية، وأن عدلكم مطلق. فهل هذا صحيح؟



رسالة إلى الله(١)


أبو لهب

وإذا كان صحيحًا، ألم تعلموا مسبقًا بأنّ رسالتكم لن تسلم من الضياع، وأنّ سُعاة البريد هؤلاء لا يؤتمنون على البريد؟ فلماذا لم تتدخلوا للحفاظ على الرسالة؟

هل من العدل أن تصل الرسالة سليمةً للجيل الأول من البشر، وتصل لي أنا محرفةً ومزيفةً؟
وهل كنتم عاجزين - وحاشاكم طبعًا- عن استعمال لغةٍ بسيطةٍ يفهمها الجميع، فلا تحتاجون بالإضافة لسُعاة البريد إلى مترجمين ومفسرين، فتجنبونا الشك والاختلاف، وتجعلوا من رسالتكم حجةً على الجميع؟
أليس من العدل أن تصل نفس الرسالة للجميع ويمتلك الجميع نفس المعطيات؟
و أنا أستغرب أشد الاستغراب اختياركم لسعاة البريد، وللبيئة التي أنزلتم فيها رسائلكم.

ألم تجدوا أفضل من ذلك المكان؟ تركتم الصين والهند وروسيا وأمريكا واليابان وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والسويد وجنوب إفريقيا ومدغشقر، وأنزلتم رسائلكم بين أورشليم في الشام ومكّة في جزيرة العرب، أي بين اليهود والعرب؟

أنا لا ألومكم، أنتم أعلم بما تفعلون، لكن ليس من العيب أن أسأل، خصوصًا وأنا معنيٌّ بهذه الرسالة، وقد تمّ غزو بلادي امتثالًا لها، وفُرض على أجدادي اتّباعها بعد أن تمّ سبي أمهاتهم وأخواتهم وقُتل آبائهم.

وأخيرًا وليس آخرًا، فقد انتشرت بيننا كلابٌ مسعورةٌ على شكل بشر، تنادي باسمكم وتذبحنا، تعظّم شأنكم وتفجرنا، تسبح بحمدكم وتعتدي على نسائنا، كلُّ هذا وهي تقرأ رسالتكم.

ربما لم تفهم تلك الرسالة، ولهذا سألتكم: لماذا لم توضّحوا كلامكم، خصوصًا وأنه لا يوجد شيءٌ يعجزكم؟

هل هو الاختبار؟
ولكن.. ألستم عالمين بكل شيء؟ فلماذا تختبرونهم؟ وهل نحن فئران تجارب حتى تتم هذه الاختبارات على حساب أجسادنا ودمائنا وكرامة نسائنا؟

لكن في كل الأحوال، تلك الكلاب من صنيعتكم، وعقولها التي لم تفهم رسالتكم من تصميمكم، ورسالتكم منكم أنتم لا من أحدٍ غيركم، وأنتم تملكون كل شيء فهؤلاء كلابكم في نهاية الأمر.

أفلم يحن الوقت لتمسكوا كلابكم عنا؟


أبو لهب

رسالة إلى الله(١)

(نظرًا لأنّ رسالتكم نزلت مجزّأةً واستغرقت ٢٠ عامًا في النزول حسب ما أخبرنا سُعاة بريدكم، فسوف أرسل رسالتي في أجزاء).

مع بالغ الامتنان.. وعظيم التحية.



وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الإِلْحَادِ قُلْ الإِلْحَادُ مِنْ أَمْرِ عَقْلِي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعَقْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

صفحة العقل دين على الفيسبوك

https://www.facebook.com/AlqlDyn



المشي نياما نحو هرمجدون

(من مدوّنة سام هاريس)

ISIS



McKie Theman

في خطابه للردّ على جريمة مقتل الصحفي (جيمس فولي James Foley) بيد جهاديٍّ بريطانيٍّ، وبّخ الرئيس أوباما تنظيم الدولة الإسلامية (مسمّياً إيّاهم بـ ISIL ومعناها Islamic State of Iraq and the Levant بدلاً من ISIS):

« الدولة الإسلامية لا تمثّل أيّ دينٍ، لا يوجد دينٌ يعلّم الناس على قتل الأبريّاء، لا إله عادلاً سيرضى بما فعلوه وما يفعلونه كلّ يومٍ، داعش ليست لديها أيّ قيمٍ إنسانيةٍ، وأيديولوجيتهم مفلسةٌ، سنقوم بكلّ شيءٍ لحماية ناسِنا والمبادئ الخالدة التي تمثّلها، فليباركِ الربّ ذكرى جيمس، وليباركِ الربّ الولايات المتحدة الأمريكية »



وفي تعليقه الذي يتكلّم عن استراتيجيّة مواجهة داعش قال الرئيس :

« لنوضّح شيئين هنا: داعش ليست إسلاميةً، لا يوجد دينٌ يأمر بقتل الأبرياء ومعظم ضحايا داعش كانوا مسلمين، داعش مجرّد منظمةٍ إرهابيّةٍ، ولا تتطلع لشيءٍ سوى ذبح كلّ من يقفون بطريقها، فليباركِ الربّ قواتنا، وليباركِ الولايات المتحدة الأمريكية »



McKie Theman



كملحدٍ، لا يمكنني سوى التساؤل :

متى ستنتهي موجة الوهم هذه، سواء بضوء المنطق أو بالتخمة من الرعب الذي يحيق بالأبرياء عن طريق أحزاب الله (الجماعات الدينيّة)، أيهما سيأتي أوّلاً ؟!

السيّارات الطائرة والإجازات على كوكب المرّيخ، أم معرفة أن الاعتقاد الديني والأفكار الدينيّة كالجهاد والشهادة والتجديف والردّة يؤدي إلى الاضطهاد والقتل؟

القول إنه لا يوجد دينٌ يأمر أتباعه بقتل الأبرياء قد يكون صحيحاً، لكن البراءة - كما يعرف الرئيس - في عين الرائي (الناظر Beholder) فقط ، فهل الكفرة والمرتدّون والمشركون أبرياء ؟ الإسلام لديه الإجابة وهي (لا) .

البريطانيون المسلمون الذين انضموا إلى صفوف داعش أكثر بكثيرٍ من الذين تطوّعوا للقوات المسلحة البريطانية، في الحقيقة هذا التنظيم قد جذب الآلاف من المجتمعات الحرّة للمساهمة في بناء جنة القمع والذبح الطائفي في سوريا والعراق، هذه ظاهرةٌ مذهلةٌ، وتُظهِر حقائق مزعجةً عن فشل التعددية الثقافية، والضعف المتأصّل في المجتمعات المنفتحة والقوة المذهلة للأفكار السيّئة .





McKie Theman

المشي نياما نحو هرمجدون

لا شك أن هذا سينوّر الكثير من المسائل في عقل القارئ. أنا لا أريد أن أعطيكم انطباعاً أن معظم المسلمين يؤيّدون داعش، لا أريد أن أعطي أسباباً للناس ليكرهوا المسلمين، أنا فقط أربط ما بين عقيدة الإسلام وعنف الجهاديين، أنا أتكلّم عن الفكر وعواقبه، لا عن حوالي مليارٍ ونصف المليار من المسلمين الذين لا يأخذ الكثير منهم دينه بشكلّ جديٍّ .

لكن الإيمان بالشهادة وكره الكفرة وضرورة الجهاد ليست بظواهرٍ غريبةٍ في العالم الإسلامي، فهذه الأشياء مسندةٌ بالقران والكثير من الأحاديث النبوية، لهذا يبدو رجل الدين السعودي (محمد العريفي) كخطيبٍ دينيٍّ خاصٍّ بجيش داعش، فلدى العريفي حوالي تسعة ملايين ونصف مليونٍ متابعٍ على تويتر، هذا أكثر بمرّتين من عدد متابعي البابا فرانسيس، فإذا كنت ترى أن الدين الذي يعلّمه ويفتي به لا يختلف عن الذي يقود وحشية داعش وبربريتها، عليك حينها أن ترى دكتور أعصابٍ !



إنّ فهم و نقد العقيدة الإسلامية - والمهمّ للمسلمين إعادة تشكيلها بما يواكب العصر - أكبر التحدّيات التي يواجهها العالم المتحضّر اليوم، لكن الأمر ليس سهلاً كتشويه عقيدة المتطرفين الإسلاميين، والقول إنّها خاطئةٌ؛ لأنّ الكثير من عقيدتهم مستوحيةٌ من الكتب المقدّسة، فكراهية الكفار الرسالة المحورية للقرآن، واقع الشهادة وحرمة الجهاد غير قابلٍ للنقاش، والتشكيك في الإسلام بقدر قيام يسوع من الموت في العقيدة المسيحية، فقيام ملايين المسلمين بسرد الشهادة أو الحج إلى مكة وانتشار الفيديوهات التي تُظهر قتل الكفرة وقطع رؤوسهم، والتي لها شعبيةٌ كبيرةٌ في العالم الإسلامي، كما لو كانت شريطاً جنسياً ،



McKie Theman



كذلك القتل المروّع، كلّ هذا له مكانٌ في النصوص المقدّسة .

هناك حالياً حملةٌ كبيرةٌ للتشويش على وجود علاقةٍ للمسلمين مع هذه الحقائق، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية مليئةٌ بأكاديميين حقيقيين وزائفين يعتبرون أنفسهم خبراء بمجالات الإرهاب والأديان والفقه الإسلامي والأنثروبولوجيا والعلوم السياسيّة ومجالاتٍ أخرى، يقولون حيثما وُجد التعصّب الإسلامي والقسوة فإنّه لا شيء كما يبدو عليه، وفوق هذا يقول هؤلاء الخبراء لا يمكننا أن نأخذ بكلام الإسلاميين والجهاديين، فكلامهم المستمرّ عن الله والجنة والشهادة وشرّ الكفر مجرّد قناعٍ يخفون به نواياهم الحقيقية، لكن ما نواياهم الحقيقية ؟

لندخل هنا في آمال ومشاريع العلمانية الليبرالية، كيف ستشعر إذا قام الإمبرياليون الغربيون بتقسيم أرضك وتغيير خريطتها، سرقة نفطك، إهانة ثقافتك التي تفخر بها ؟

المسلمون الورعون يريدون ما يريد غيرهم من الإستقرار السياسي والإقتصادي، قطعة أرضٍ يسمّونها وطناً، مدارس جيدةً لأطفالهم، والمتعة الصغيرة من الاستمتاع مع الأصدقاء .

لسوء الحظّ هذا ما يصدّقه الكثير من أصدقائي الليبراليين، في الواقع إنّ عدم قبول ما ذُكِرَ أعلاه رغم كونه جزءاً من الطبيعة البشرية، وتجنّب تعاليم الإسلام سيُعتبر نوعاً من التعصّب .

ففي أيّ محادثةٍ عن هذا الموضوع يقوم الشخص بوضع جدارٍ ناريٍّ من التحذيرات وخلط الحابل بالنابل ..

- بالتأكيد إنّ السياسة الخارجية الأمريكية لديها مشاكلها،
- نعم يجب أن نترك النفط، أنا لم أشجّع الحرب على العراق،
- نعم لقد قرأت لتشومسكي [1]
- -الإنجيل يحتوي على نصوصٍ مساويةٍ في القسوة،
- نعم سمعتُ عن تفجير عيادات الإجهاض سنة 1984،
- كلا أنا آسف للقول: لم يكن الإلحاد ما يحرّك ستالين وهتلر،
- نمور التاميل ؟ نعم سمعتُ عنهم،

الآن هل يمكننا التكلّم بصدقٍ عن الرابط بين الإيمان والسلوك ؟

---

1 -أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky ولد في 7 كانون الأول 1928 فيلادلفيا، بنسلفانيا، أستاذ لسانياتٍ وفيلسوفٌ أمريكيٌّ، و عالمٌ إدراكيٌّ وعالمٌ بالمنطق، ومؤرّخٌ وناقدٌ وناشطٌ سياسيٌّ، أستاذ لسانياتٍ فخريٌّ في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا

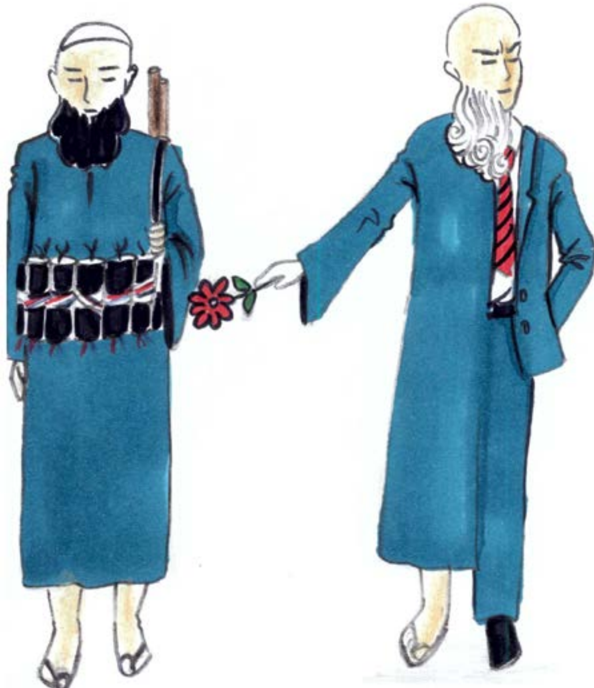
المشي نياما نحو هرمجدون



McKie Theman

نعم، العديد من المسلمين يتجاهلون كفر جيرانهم، يرون المرأة مساويةً للرجل، لا يعادون السامية، هناك أيضاً مسلمون يشربون المشروبات الكحولية، ويأكلون البيكون [2] كلّ هذه المذاهب تمشي بمسار عكس تعاليم الإسلام بشكلٍ أو آخر، وكما حال الكثير من المعتدلين الدينيين، فمعظم المعتدلين المسلمين يصبحون ظلاميين حين يدافعون عن دينهم أمام النقد. هم يعتمدون على الحداثة والقيم العلمانية وتقبّل التنوّع واحترام حقوق الإنسان ويتجاهلون الكثير من الأجزاء المكروهة في كتابهم المقدّس، مع ذلك يطالبوننا باحترام فكرة الوحي، وهذا سيتركنا عرضةً أمام المزيد من القراءة الحرفية لنصوصهم.

فكرة الكتاب المستوحى من خالق الكون هي كالسمّ – فكرياً أخلاقيّاً سياسيّاً – هذا السمّ حالياً مؤذٍ أكثر في المجتمعات الإسلامية سواء شرقاً أم غرباً، رغم وجود كل البربرية في العهد القديم من الكتاب المقدّس والإيمان الخطر بالآخرة في العهد الجديد، فمن السهل على المسيحيين واليهود ترك الدين لمصلحة السياسة والعلمانية، فسطرٌ واحدٌ من كتاب متّى (أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله) يُنسب له الفضل الكبير في تحرّر الغرب من الحكومة الدينية، القرآن يحتوي على بعض النصوص التي يمكن أن يكون لها نفس التأثير (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) « البقرة 256» لكن هذه الشرارات القليلة من التسامح يمكن إخمادها بسهولةٍ، محوّلةً الإسلام إلى دينٍ ملتوٍ يتطلب معجزةً لأجل تفسيره وبعض الإصلاحيين مثل ماجد نواز[3]، والكثيرون يعتقدون أنّه من غير الصائب أن نربط بين الإسلام والعنف والتطرف الذي نراه في العالم الإسلامي خوفاً من زيادة الظن أنّ الغرب في حالة حربٍ مع الدين، ما يدفع الملايين من المسلمين المسالمين للانخراط في قضية الجهاديين، وأنا اعترف أنّ هذا التساؤل ليس غبياً، لكنه يشهد على خطورة



الفكرة الأساسية، فالدين يكوّن نوعاً من التضامن فيما بين الجميع، ويجب أن نجد وسيلةً لإضعافه، فهو يضمن الولاء لمن بين صفوفه، والعداء لمن هم خارجه، حتى لو كان الموالي يتصرّف كمريضٍ نفسيٍّ .

---

2 - نوعٌ من لحم الخنزير المأخوذ من جانب، ظهر، بطن الخنزير

3 - مؤسّس مؤسسة Quilliam المختصّة بالرد على المتطرّفين الإسلاميين في لندن، عضوٌ سابقٌ في حزب التحرير



McKie Theman

مع ذلك يبقى انتقاد معتقدات الغير محرّماً في العديد من المجتمعات، وحتى بعض الملحدين يميلون لرصد هذا التحريم وفرضه على الغير؛ لأنّهم يعتقدون أن الدين ضروريٌّ للكثير من الناس، فبعد كلّ شيءٍ الحياة صعبةٌ، والإيمان يسهّل عيشها، كون معظم الناس تتصوّر أن فلسفة العصر الحديدي تمثّل الوعاء الوحيد لآمالهم الروحية ومشاكلهم الوجودية، وهذه مشكلةٌ باقيةٌ على قوى المنطق؛ لأن معظم التجارب التحوّلية التي خضع لها الناس - السعادة والإخلاص والسمو بالنفس - مرتبطةٌ بأسوأ أجزاء الثقافة وطرق التفكير التي تمجّد الخرافة وخداع النفس والنزاع . فمن بين كلّ الأذى الذي سبّبه الدين إلى هذا الحدّ من التاريخ، يبدو أنّه من المفيد إلهام الناس أن يتجمّعوا ليتناقشوا في غموض الوجود والتزاماتهم الأخلاقية فيما بينهم، نجد أنّ الدين ينقل رسالةً لا يمكن الدفاع عنها فكرياً وبشكلٍ غير طائفيٍّ، لكن في الواقع هناك طريقةٌ، وهي أنّنا يمكننا بناء مجتمعاتٍ قويةٍ تتمتّع بحياةٍ عميقةٍ على المستوى الأخلاقي والروحي دون تصديق أيّ هراءٍ عن الأصل الإلهي لبضعة كتبٍ .

الاحترام المضلل لفكرة الوحي يشرح لنا الردّ على التعابير الصارخة للخيال الديني، فالرئيس أوباما ردّ بكلماتٍ لطيفةٍ - وصواريخ - وهذا قد يكون أفضل أملٍ لنا، نظراً لحالة حديثنا عن الدين، وربّما ذات يومٍ سنقوم بـ فعل أيّ شيءٍ لحماية ناسنا ومبادئنا الخالدة التي تمثّلها، لكن اليوم لا يمكننا حتى أن نتكلّم عن دوافع أعدائنا بصدقٍ، وفي خضم كذبنا على أنفسنا نستمرّ في خدمة الأوهام التي تقوّيهم .





مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة



شخصيةٌ حديثةٌ يُمكن وصفها بأنها أحد نجوم العالم الرقمي والإعلام الحديث.

مصريٌ أولاً وملحدٌ ثانيًا كما يُعرّف نفسه، له وجهات نظرٍ سياسيةٍ وآراءٌ عميقةٌ ومعرفةٌ واسعةٌ في التاريخ وخباياه ويراه الكثيرون ذلك الجانب المجنون البذيء والظريف والغاضب الذي يفرض التوازن على ساحة التعبير الحرّة على الإنترنت.

بدأت فيديوهاته بالظهور على موقع اليوتيوب مع بداية الأحداث السياسية قبيل سقوط حكم حسني مبارك في مصر، وأتت تسجيلاته مُنجّمةً على الأحداث تصف وتحلّل وتطرح آراءه ونبوءاته التي كانت قاسيةً أحيانًا. ولكنّها كانت دومًا مادةً دسمةً وممتعةً ومفيدةً لجميع الأطراف.

نكمل الحوار الشيق مع مصري الملحد الجزء الثاني:

١٤- في الكثير من الأحيان يظهر الحلّ الفاشي العسكري الدكتاتوري كعلاجٍ وردٍ على ازدياد التطرّف والوجود الراديكالي الديني. كيف ترى هذه المقايضة وهل حقًّا يُمكن وصفها بأنها استبدال مصيبةٍ بأخرى؟

أسوأ ما يُمكن أن يحدث في أي دولةٍ هو سيطرة التيار الديني على الحكم فهو قاع الجحيم مثلما حدث في أفغانستان وقد شاهدنا كيف بدأ وكيف تطور وما انتهى إليه، وأيّ شيءٍ خلاف هذا التيار فهو أفضل، أنا أُفضّل حُكمًا عسكريًا دكتاتوريًا فاشيًا على حكمٍ دينيٍ فالانتحار أفضل منه.

هناك تجاربٌ ناجحةٌ للحكم العسكري مثل الانقلاب الذي حدث في كوريا الجنوبية بداية الستينات وهو ما أوصل كوريا الجنوبيّة إلى ما هي عليه الآن. والعالم العربي غير مؤهّلٍ الآن للحكم الديمقراطي ولو حدثت ديمقراطيةٌ مباشرةٌ ستكون كارثة، مثلما حدث في مصر عندما اكتسحت التيارات الإسلامية (ومن ضمنهم أنور البلكيمي وعلي ونيس) مجلس الشعب. لا تستمعوا لكلامي واعتبروني فاشيٌ ويمينيٌ مجرمٌ ولكن اسمعوا لعلاء الأسواني (الأديب واليساري والعضو في حركة كفاية المعارضة)حينما ذُهل من نتائج هذه الانتخابات قال لا يجب أن يُصوّت إلا من حصل على ثانويةٍ عامة



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

أو مؤهّلٍ جامعي، ألم تكن تعلم أيها المُثقف أن هذا سيحدث؟ هذا الكلام كمّيٌ وليس كيفيّ ويُمكن إثباته إحصائيًا في دراسة مؤشرات التنمية ومعرفة نسبة الأميّة في مصر.

الديمقراطية نفسها ليست هدفًا هي وسيلةٌ تُوصلنا إلى الارتقاء بمستوى معيشة الشعب، إن أوصلتنا لذلك فأهلًا وسهلًا بها وإن لم تُوصلنا فنحن لا نريدها، فمثلًا إذا أحضرت طفلًا دو ستّ سنواتٍ ووضعت أمامه عصير فاكهةٍ وبيبسي ووسكي وسمّ في زجاجات وقلت له من حقّك أن تختار فمن الممكن أن يختار السمّ لمجرّد إعجابه بلونه أو بشكله، أي أنّه لم يصل لمرحلة معرفة الاختيار الجيّد، والشعوب الجاهلة هكذا والنتيجة كانت اختيار «مرسي» حيث كان الشعب يعتقد أنّ الإخوان فصيلٌ وطني، ومن رأيي أن كلّ شخصٍ سلّم على الإخوان وأيّدهم يجب أن يُحاكم.

عندما يتمّ رفع مستوى المعيشة وتقليص الأميّة وعلاج الفقر كي لا يتم شراء الأصوات ممكن أن نتحدّث عن الديمقراطية، أيُّ ديمقراطيةٍ يبيع فيها مواطنٌ صوته بكيس سكّر؟ إذا قلت : لماذا لم تُعالَج هذه المسائل إبّان الحكومات السابقة، فسأقول لك: الحكومات السابقة كانت عاجزةً وديكتاتوريةً ونحن لسنا الشعب الألماني ولا الياباني العبقريّان، نحن ليس لدينا إلّا بعض المدارس والجامعات، ولكن أمامنا فرصةٌ الآن للبدء بشكلٍ صحيح، ولازلنا نحتاج لجلب استثماراتٍ وخلق فرص عملٍ. تجربةٌ أخرى ناجحةٌ للحكم العسكريّ في تشيلي بقيادة بينوشيه حينما انقلب على اليسار(بمنهج القطاع العام)، فهي اليوم تُعتبر من أهم الاقتصاديات في أمريكا اللاتينية، إذًا ليست كل التجارب العسكريّة فاشلةٌ .

حتى جمال عبدالناصر عندما وصل للحكم في مصر كان عمره أربعةٌ وثلاثون سنةً وهذا يعتبر سنّ إنسانٍ غير ناضجٍ وغير مؤهّلٍ لحكم بلدٍ ومع كلّ ما حدث فهو يُعتبر أفضل من وصول التيارات الإجرامية للسلطة.

١٥- الشيوعية والأفكار اليسارية كانت دومًا ذلك الغريم الذي يخسر كلّ جولاته في حلبة الملاكمة مع الإسلام السياسي في مصر ودومًا كان يعاود النهوض بخجل ووجوده لا يُمكن تجاهله. فما رأيك بالنسبة للفكر اليساري العربي بشكلٍ عام والمصري بشكل خاص؟

أنا لا أعتقد أساسًا أنه يوجد تيارٌ يساريٌ حقيقيٌ في مصر والعالم العربي، لكي يكون لديك تيارٌ يساريٌ يجب أن يكون هناك طبقةٌ عُمّالية، ولا يوجد طبقةٌ عماليةٌ لأنه لا أحد يعمل أساسًا، أذكر أيام الوحدة بين مصر وسوريا حين ألغوا الأحزاب كان زعيم الحزب الشيوعي في سوريا إسمه خالد بكداش، فهرب إلى قبيلته، وهكذا هم الشيوعيّون عند العرب، حين تحين لحظة الحقيقة يهربون، وكذلك كمال جنبلاط ووليد جنبلاط كان حزبهم تحت اليسارية ولكنهم أضفوا عليه



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

صفةً طائفيةً درزية، وكذلك حزب البعث كان له أبجدياته ومفكّريه، ولكن برئاسة حافظ الأسد هل كان كذلك أم أن الأمر طائفةٌ معينةٌ تستفرد بزمام الأمور، حافظ الأسد يجمع أقاربه وصدام حسين يجمع أقاربه وأحبابه تحت غطاء الحزب، فلا يوجد يسارٌ حقيقي.

ممكن لو في دولٍ فيها مصانعٌ ضخمةٌ وصناعاتٌ كبيرة، ووجود طبقةٍ عُمّاليةٍ حقيقيةٍ ولكن هذا لم يتحقّق في الدول العربية، وكذلك وجود الدين في المجتمعات العربية كان ضدّهم، كان دائمًا يُثار عن اليسار أنه الشيوعي الكافر فلم يكن لهم وجودٌ شعبيٌ حقيقي، وفي النهاية أصبح اليساريون في الدول العربية ومن ضمنها مصر، مجرد عاطلين يتجمّعون في المقاهي يُهرتلون بكلامٍ فارغٍ ويبحثون عن قزازة بيرة يشربونها ببلاش، وحتى تكون يساريًا عليك أن تطلّع على فكر اليسار وكتبه، وحين كنت أسأل أحدهم عن كتاب «رأس المال» لماركس مثلًا، هل اطّلعت عليه؟ لم أجد شخصًا منهم يجيبني أنه قرأه أو اطّلع عليه، هو كتابٌ صعبٌ ومعقدٌ أنا مثلاً لم أقرأه ولكن هم حين يكونون جهلةً به كيف يكونون يساريين؟ أو حين تسأل أحدهم ماذا تعرف عن مفكّري اليسار في أوروبا، فلا يعرف أحد إلا ما سمعه في الإعلانات ستالين، لينين، ماركس، وانتهى، فلم أستشعر يومًا وجود يسارٍ حقيقيٍ، وقد كان لي اختلاطٌ بمن كانوا ينتمون للاتحاد الاشتراكي وأغلبهم فقط ينتمون إليه للبزنس والمكسب (سبّوبة)، ولا يعرفون شيئًا عن الاتحاد الاشتراكي، ولا يؤمنون بالاشتراكية ولا عندهم عنها أيّ فكر، مجرد هرتلة وطبقةٌ محبطةٌ، ولا وجود على الأرض.

إذا أردنا أن نتكلّم عن اليسار العالمي، ومثال الاتحاد السوفييتي، فانهياره كان كارثةً على أتباعه، كان هناك أناس تبكي بحرقةٍ عند رؤيتها لتمزّق الاتحاد السوفييتي، فأحدث لديهم ردة فعلٍ ورغبةً في الثأر وإحداث أكبر قدرٍ من الضرر للإمبريالية العالمية حتى يعوّضوا الهزيمة، فقد كانت هزيمةً مذهلة، فألمانيا النازية مثلًا سقطت بعد حربٍ عالمية، أما الاتحاد السوفييتي سقط داخليًا، وحدث الانهيار بسبب عوامل داخلية، فحدثت أزمةٌ نفسيةٌ حقيقيةٌ لكلّ من كان يُؤمن بالاشتراكية في روسيا وغيرها، ولإحداث الضرر بأمريكا والرأسمالية العالمية، وجدوا في التيارات الإسلامية الصاعدة والإسلام السياسي وحفنة الرعاع الذين يميلون للعنف والإفراط فيه، وجدوا فيهم طريقةً لتعويض هذه الهزيمة، على مبدأ إحداث الأذى بالعدو الذي سبّب لنا هذه الكارثة، لذلك تجد أن اليساريين والإسلاميين يهلّلون لنفس الأهداف، إسقاط أمريكا وغيره، وليس فقط الإسلاميين كانوا يهلّلون يوم ١١/٩ بل اليساريين أيضًا كانوا منتشين جدًا بالفرحة، ومن إحدى التجارب اللطيفة في مصر أن الاشتراكيين أو التيار اليساري كثيرٌ منهم حين أجريت انتخابات مجلس الشعب، دخلوا من ناصريين واشتراكيين على قوائم الإخوان، وليس بقائمةٍ مستقلّة، دخلوا بيت الطاعة عند الإخوان أولًا ثم مجلس الشعب!!

وتيار الإسلام السياسي فعلًا يستطيع حشد الدهماء بخطب تعبوية مثل كشك وغيره، هم قادرون على هذا، بينما اليساريين لو حشدوا ١٥ عيّل خلفهم ستكون فرحتهم كأنهم حشدوا مليونية، لذلك فكرة مناقشة وجود تيارٍ يساريٍ في



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

العالم العربي هي فكرةٌ سخيفةٌ لأنها فئةٌ منبوذةٌ أساسًا بسبب الدين، ولا يوجد مصانع ضخمةٍ ولا طبقةٍ عماليةٍ يُمكن أن تُمثل حراكًا عُمّاليًا حقيقيًا على الأرض، يُمكن أن يغيّر شيئًا في الواقع، هذا كلّه غير موجود.

وبصراحة It's Over يجب على اليسار أن يفهم أن هذا فكرٌ فاشلٌ وانتهى والعالم كلّه عرف اللعبة أن الاقتصاد الحرّ هو الأفضل، وليس بالصدفة أن كلّ الدول ذات المنظومة الاشتراكية قد سقطت! وكلّها تعتمد نفس الأسلوب، لو تكلّمت مع شخصٍ من أيِّ دولةٍ ذات منظومةٍ اشتراكية، روسيا أو الصين أو كوبا، أو دول أوروبا الشرقية التي كانت اشتراكية سابقًا بولندا أو المجر، كلّه نفس النظام، حزبٌ واحدٌ تتفشّى فيه الرشوة والفساد والمحسوبية واستغلال النفوذ والسلطة، ومجتمعٌ يتجسّس على بعضه وتحكُمه أجهزة الأمن، ومجتمعٌ مغلقٌ بينما يصوّره النظام الحاكم على أنه اليوتوبيا، بينما في الحقيقة هو الجحيم ذاته، فلماذا نعيد التجربة؟ اليسار اليوم في أوروبا أصبح عبارةً عن منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان والطفل والمرأة وأشياء من هذا القبيل، إنما يسار مصادرة الملكيات خلاص انتهى عصره.

١٦- كيف يُمكن لمصر أن تصل للحكم المدني الفعّال والمناسب برأيك؟ وهل هذا ممكن في المستقبل المنظور؟

ليست قضيّتنا الآن أن نعمل انتخاباتٍ مثل الدول الغربية، يجب أولًا أن نضخّ استثماراتٍ ضخمةً في البلد بحيث نوفّر فرص عملٍ ونرفع من مستوى المعيشة (رفع مستوى التعليم والصحّة) وهذا ما يُحاول عمله السيسي اليوم عن طريق مشروع قناة السويس مثلاً، إنشاء الطرقات السريعة مثلما فعل هتلر والسكك الحديدية مثلما فعلت أمريكا سيؤدّي لرفع مستوى المعيشة أيضًا وتعجيل عجلة التنمية، وبالتالي هذه الأمّة ستقوم بالاختيار الجيّد مستقبلًا. أما أناس تبيع أصواتها مقابل قال الله وقال الرسول أو مقابل كيس سكّرٍ فبهذا نحن نضحك على بعضنا البعض، مستوى ثقافي وتعليمي منحطّ أدّى إلى أن كلّ ما يعرفه المصريّون اليوم هو اختصار الديمقراطية بقانون المظاهرات وانشغالهم بالتكاثر الحشري، وبهذا إذا استمرّت التنمية كما هو حاصلٌ اليوم، أمامنا من عشرين إلى خمسة وعشرين سنة حتّى تظهر الملامح الحقيقيّة لدولةٍ مدنيةٍ.

١٧- من بين من حكموا مصر كان هناك شخصياتٌ محوريةٌ كثيرة مثل جمال عبدالناصر والسادات ومبارك وطبعًا «اللي ما يتسمّى» وتلاه عدلي منصور واليوم أتى دور السيسي .. كيف يُمكن أن تعبّر للقرّاء عن رأيك بكلّ شخصيةٍ من خلال إنجازاتها ومنهجها؟

الناس ترى أن هناك تناقضٌ ضخمٌ بين جمال عبدالناصر والسادات ومبارك لكنني أراهم شخصيةٌ واحدةٌ فقط هي



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

تقدّمت في السن، عبدالناصر تولّى السلطة وعمره أربعة وثلاثون سنةً، في حين أنّ السادات كان عمره فوق الخمسين عندما حَكَم، فهنا السادات ليس مُختلفًا لكنه أصبح أكثر نضجًا فبدت قراراته أكثر نضجًا وحكمةً وتمهلًا، فلو تولّى السادات الحكم في الرابعة والثلاثين من عمره لكان في درجةٍ من عدم الوعي والتهوّر مثل عبدالناصر، السادات هو عبدالناصر لكنّه أكبر سنًّا وعقلًا وبدأ يدرس الأمور بحكمةٍ، مبارك هو السادات Part٢ حيث بقيت نفس السياسات من ولاءٍ للغرب والانفتاح الاقتصادي ورجال الأعمال نفس الفكرة العامة والمنهج، عدلي منصور رئيسٌ إجرائيٌ لم يكن رئيسًا بمعنى رئيس، اللي ما يتسمّى (مرسي) يلزمنا موسوعةٌ للحديث عنه، أهمّ هؤلاء الرؤساء من وجهة نظري هو السيسي وهو ناضجٌ حيث يبلغ من العمر ستين سنةً، ولو لم يفعل السيسي سوى الإطاحة بالكلب المجرم المدعو مرسي فهذا يكفي لكي نعمل له تمثالًا من ذهبٍ في ميدان التحرير، و كنت قد عملت مقطعًا يُسمّى «برج البلهاء في المقطّم» تحدّثت فيه عن الإخوان : حيث أصبحت الدولة أسيرةً لتلك العصابات والبهائم، ولو لم يتدخّل الجيش في الثلاثين من يونيو وترك الموجودين في ميداني التحرير ورابعة العدويّة لحصلت صداماتٌ بين الكتلتين ولحدثت حرب شوارعٍ وحربٌ أهليةٌ وعشنا واستمتعنا في هذا الجو، الجيش أنهى هذه المهزلة وأطاح بكارثةٍ كانت تحكم البلد على مدار سنةٍ (الإخوان). السيسي يمتلك رؤيةً حقيقيةً وهذا ما تعرّفت عليه من خلال التسريبات (وهي اجتماعاتٌ تثقيفيةٌ ومؤتمراتٌ عقدها السيسي تحدّث من خلالها عن رؤيته للأمور مثل فكرة الاقتصاد الحرّ) فظننت أنّه لن يقدر على التنفيذ ممّا يستدعي في الذاكرة أحداث الثامن عشر والتاسع عشر من يناير سنة ١٩٧٧ عندما زادت الأسعار فأحرقوا البلد (قاموا بعمليات سلبٍ ونهبٍ بقيادة زعماء اليسار ومن ضمنهم حمدين صبّاحي) ولكن السيسي مؤمنٌ بالاقتصاد الحرّ ويمتلك القدرة على التنفيذ ومن بداية حكمه قام برفعٍ جزئيٍ للدعم عن الوقود ولم يحدث شيء رغم تهييج الإخوان للناس عليه وهذا يدلّ على أنّه يمتلك رصيدًا سياسيا عندهم، السادات رغم أنّه بطل حرب أكتوبر ومع ذلك عجز عن رفع سعر رغيف الخبز قرشًا واحدًا رغم أنه يمتلك نفس الرؤية الاقتصادية. ومبارك كان يمتلك نفس الفكرة لكنّه لم يُنفّذ.

ومنذ زيارة السيسي للكاتدرائية وعلاقته الجيّدة مع البابا لم نعد نسمع عن أحداثٍ طائفيةٍ بسبب ضرب طائفةٍ ما لحمار أو معزة الطائفة الأخرى، هذه الزيارات تبثّ نوعًا من السلام الاجتماعي في المجتمع، لأن الدولة نفسها توجُّهها هكذا، مقارنةً مع شغل المسخرة والألاعيب التي كان يعملها السادات ومبارك من تحالفٍ مع السلفيّين ضد المسيحيّين تارةً وحبس الإخوان تارةً أخرى حيث كانت نتيجتها فاشلةٌ ومكشوفة.

السيسي أوّل من تكلّم عن تطوير الخطاب الديني وأنا أعتقد أن الحلّ الذي سيصل إليه في النهاية (عن طريق المحاولة والخطأ) هو تهميش الدين من المجتمع وليس إصلاحه، وعلى مستوى السياسة الخارجية كان يُسوّق على أنّ السيسي طاغيةٌ ودكتاتورٌ ورجلٌ مُشعٌّ لا يقترب منه أحدٌ، لكن في الحقيقة نجد أنّ انطباعات الزعماء في العالم عنه جيدةٌ جدًّا وعلاقته جيّدةٌ مع الغرب ودول الخليج ويبني تحالفاته بالتدريج، وهو قادرٌ على التعامل مع الجماعات الإرهابية في



سيناء حيث يتم سحلهم خاصةً بعد أحداث العريش الأخيرة. وأوضح الأمر عند زيارته للقوات الخاصة في سيناء أنه سيتم التعامل بيدٍ من حديدٍ مع الإرهاب وهو قادرٌ على ذلك، فما تفعله هذه الجماعات الإرهابية يزيد رصيده عند الناس، وعندما يقول الكاتب العالمي أبوشفتورة(علاء أسواني) أو ممثّل مثل خالد أبو النجا أو بلال فضل: «ارحل ياسيسي فأنت لم تنجح في القضاء على الإرهاب»، أحب أن أنوّه أنّه في أوقات الحروب والمواجهات لا أحد يقول هكذا لرئيسه، أمريكا نفسها ضربها الإرهاب كذا مرة في سفاراتها وطائراتها، وفي عقر دارها، ولم يقل أحد ارحل يا بوش (أو لأي رئيس آخر) لأنك لم تحمينا من الإرهاب، ولمَ يرحل السيسي لأجل خالد أبو النجا ماهي أهميته ومن يكون خالد أبو النجا، ومن البديل، إذا لم تُرِد السيسي لديك انتخاباتٌ بعد أربعة سنواتٍ انزل وقل لا، وإذا كنت تريد أن تُمشّي السيسي الآن سندخل في مواجهة، وأنا مستعدٌ أن أواجهك حتى بالسلاح، أنا عن نفسي سأقول نعم للسيسي بعد أربعة سنواتٍ أيضًا؛ هل سننصّب خالد أبو النجا رئيسًا أو من يدعمه هو؟ فهولا يستطيع أن يجمع خمسة أشخاصٍ على قهوةٍ، فلنتركه ينبح ولا نرد عليه إلا بالسخرية، أحد أسباب التمسّك بالسيسي هو هذه المعارضة الصبيانيّة متمثلةً في المجرم أحمد دومه (الذي كان يرمي الحجارة وقنابل المولوتوف على الناس وأخد مؤخرًا حكمًا بالمؤبد وغرامة بسبعة عشر مليون جنيه) وحمدين صبّاحي والأقرع الذي أخد جائزة نوبل (البرادعي) : فهذه الأشكال لا تستطيع أن تُدير محل سجائر ناهيك عن حكم دولة، إلى أن تصبح عندنا معارضةٌ ناجحةٌ فأنا متمسكٌ بالسيسي وأراه رئيسًا تاريخيًا لمصر وأفضلهم، فنحن ارتحنا من المشاكل في عهده.

١٨- امتدادًا للسؤال السابق، نحب أن نسمع رأيك الخاص بهذه الشخصيات الراحلة وما تمثله بالنسبة لك من وجهة نظرٍ تاريخيةٍ، لأن رأيك يلقى اهتمامًا لدى القُرّاء الذين لا ينحصرون في مصر وحدها:
حافظ الأسد
معمر القذافي
صدام حسين
الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود
الملك حسين
ياسر عرفات
الخميني

هذه الشخصيات بالتحديد، حافظ الأسد، القذافي، صدام حسين، ياسر عرفات، الخميني، شلّة مع بعض، ترتبط أسماؤهم بالكوارث التي حدثت للبلاد العربية، ويُمكن اعتبار هذه الشخصيات مثيرةً للشغب والمشاكل في المنطقة وجعلت المنطقة بأكملها تعيش حروبًا لا حصر لها، فكبداية مثلاً يُمكن ذكر ما فعله حافظ الأسد بتدّخله في الحرب الأهلية



مصري ملحد 2

في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

اللبنانية وتطوراتها والتي استمرت عدة سنوات، ومسألة حماة وماحدث فيها وتطوراتها، وكما نعلم أن حافظ الأسد كان يحكم سوريا بما يُسمّى بحزب البعث العربي الاشتراكي وستجدِي أن ذات الاسم كان لدى الحزب الحاكم بقيادة صدام حسين في العراق، فللوهلة الأولى يُمكن تخيّلهم متفقين وأن تجدِي مساحةً واسعةً بينهم بحيث أنّهم ينتموا لعقيدةٍ حزبيةٍ واحدة، ولكن عند النظر لحقائق الأمور ستجدِين أن ما بين حافظ الأسد وصدام حسين صراعٌ مريرٌ واختلافاتٌ بينهم حتى في تسمية وتعريف حزب البعث (البعث اليميني، والبعث اليساري، الحزب المتصهين، والأونطة دي) !!

أما مثلاً ما حدث بين الخميني وصدام حسين (ما بين العراق وإيران) فأنا كنت أسمّي تلك الحرب «حرب المعيز»، وكما رأينا فقد ساندت سوريا الأسد إيران الخميني ضد صدام حسين على الرغم من اشتراك العراق وسوريا في القومية العربية واختلافهم عن الخميني بأنه إيراني وتم صرف مليارات الدولارات على هذه الحرب الوهمية بين شخصيتين هما من أغبى ما يُمكن، ثم أيضًا يُمكن النظر الى الحرب اللبنانية واشتراك الأسد فيها، كأنّها خلفيةٌ موسيقيةٌ في محل، دائمًا موجودة في خلفية الأحداث، لأنّها استمرّت طويلاً بدون طائلٍ يذكر، وفي أثناء هذه الحرب في الخلفية نجد الثورة الإيرانية، ثم حرب العراق وإيران، وطبعًا لا يجب أن ننسى الحروب التي كانت تدور في أفغانستان ضد رؤوس الملاحدة !!

وطبعًا عند الحديث عن الشخصية المدعوة بالخميني، أذكر أني كنت أتابع أحداث الثورة الإيرانية عبر نشرات الأخبار، وكانت أول مرة أشاهده حين نزل في مطار طهران من طائرة مكتوب عليها Air France ، فتعجّبت من إيران، فبعد ما ضحّيتم بالغالي والنفيس وبأرواحٍ ودماءٍ في الثورة، تأتون بهذه الشخصية القادمة بعقلية العصور الوسطى لتحكُمكم ! أما معمر القذافي فيحتل مكانةً خاصةً في قلبي بحُكم موقع بلده بجانب مصر (كان جنبنا على إيدنا الشمال)، وكان عامل مثل الجار المُتطفل الذي لا شغل له ولا مشغلة إلا مراقبتك ومتابعة كل تحركاتك، هي دخلت، هي خرجت، هي أطفأت النور، فكان بالنسبة لنا هكذا طول النهار واقفٌ لنا في البلكونة، ترك دولته وانشغل بمصر والتعليق على ما يحدث فيها، ثم زهق شوية ودخل في حربٍ لا طائل منها مع تشاد (كل ده والحرب اللبنانية لسّه شغالة في الخلفية)، وخسر وطلع دين أهله!

وبالمختصرالمفيد أرى أن المشكلة تكمن في إلقاء اللوم الكامل على تلك الشخصيات بأنها سبب انهيار الأمة العربية ونكبتها، ولكن الحقيقة التي يغفل عنها الجميع أن تلك الشخصيات هي نتاجٌ لهذه المجتمعات ولم تأتي من الفضاء أو تم استيرادها من الخارج ! صناعةٌ محليةٌ خالصةٌ، فمجتمع كالمجتمع العراقي يُنتج شخصيةً كصدام حسين الذي هو بلطجي شوارع صاحب تاريخ أسود في الإجرام، الذي حُكي أنه أطلق النار على مُدرسّه في مدرسته الثانوية ! تخيّلي طالب يحمل سلاح لضرب مُدرسّه بالنار في بيته؟ إن كانت هذه البداية فماذا تتوقعين أن تكون النهاية! وعلى فكرة هو كان لاجئ سياسي في مصر ويُقال أنه له سجلّ جنائي هناك! (مشاجرات مع الأهالي وفي البارات ودخل ما دفعش الحساب

مصري ملحد 2

في حوار مع..........



أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

وحاجات كده) عربجي شوارع تمكّن بطريقةٍ أو بأخرى أن يصل للحكم في العراق، وكانت النتيجة كارثية، بسبب جهله، هو لم يحظَ بتعليمٍ محترم، ومن مميزات شخصيته، أنه كان دائمًا يحب أن يرتدي ملابسًا عسكرية، رغم أنه لم يحظَ بأيّ تعليم عسكري ولم يدخل أيّ أكاديميةٍ عسكرية، و كان يضع أيّ رتب أي شيء على كتفه (نجمة، خروف، سيفين، معزة، حطولي كل حاجه على كتفي)، لإظهارالمكانة العالية «الفارغة طبعًا».

ولو قارنتي مثلا هذا المثال بـ حسني مبارك خريج أكاديمية عسكرية وصل لدرجة قائد القوات الجوية،   ولكن منذ توليه الرئاسة في مصرلم يرتدي الزيّ العسكري، في حين صدام حسين كان عامل مثل العيّل الصغير بابا هاتلي بدلة زابط وكده. ومن المواقف الغريبة أنّي على سبيل المثال كنت قد راهنت في نقاشٍ مع بعض الأصدقاء على أن صدام لن يُقدم على غزو الكويت رغم الكلام عن حشود وتهديدات من طرفه، وشرحت لهم لماذا أرى أنه مستحيل أن يغزو الكويت، لأن العقل والمنطق يقول مستحيل! وخسرت الرهان طبعًا، وأنا أتذكّر جيدًا هذا اليوم حيث كنا في جو امتحانات في أغسطس على ما أذكر، ونزلت إلى الشراع أشتري شيء، وقابلني أحد الأصدقاء وأخبرني بأن صدام قد غزا الكويت بالفعل !!! ولم تُصدّق أذني ما سمعت ! لأن المنطق يقول أن هذه الحركة حركة غير منطقية وطفولية ومع ذلك فعلها وللأسف الشديد أيّدته دولٌ وشعوب، وأتذكّر أن حسني مبارك وقتها ترجّاه أن يخرج من الكويت، وسُئل مرة حسني مبارك عن غزو الكويت وعواقبه، قال باللفظ :« صورة سوداء، أنا أرى صورةً سوداء» وهذا كان توقّع أي إنسانٍ عاقل، وطبعًا كانت هذه الحرب مهزلة ولُعب على صدام حسين أتاري فيها، ولمّا انهزم صدام تلك الهزيمة المنكرة أضاف لفظ «الله أكبر» على العلم العراقي والذي لم يكُن موجودًا من قبل، وبدأ صدام حسين بتغييب الشعب بالدين، من منطق أنّه قد رجع إلى الله كنوع من تكفير الذنب بعد المصيبة التي ارتكبها في حق الكويت .

وأما بالنسبة لشخصية ياسر عرفات، فلا يُمكن الحديث عنه بدون ذكر تعليق مذيعٍ أمريكي مشهور عندما سُئل عن شخصية ياسر عرفات فأجاب «ياسر عرفات مهرج Clown»، وموقفي منه ومن القضية الفلسطينية يُمكن اعتباره بأنه انتهى يوم مؤتمر «مينا هاوس» في القاهرة عندما دعته مصر ليحضر لوضع حلٍ سياسيّ للأزمة، وعرفات رفض واعتمد في ذهنه على هؤلاء الرعاع من صدام حسين والقذافي والأسد على أساس أنهم سينفعوه بالإضافة طبعًا لدول الخليج . وها نحن اليوم في سنة ٢٠١٥ ومازالت القضية لم تُحلّ بل وتزداد سوءًا ،فكما قلت فقد أضاع عرفات فرصةً تاريخية له ولشعبه لجعل الأمور في دولته أكثرواقعية وإشراقًا مما نحن عليه اليوم من انقسام وغزة والضفة وفتح وحماس، وأصبحت القضية الفلسطينية في أيدي عصاباتٍ مسلحة، سواءً العصابة الإجرامية المُسمّاة حماس أو العصابة الأخرى فتح، أنا غير مؤمن بفتح هي أيضًا عصابةٌ إجراميةٌ ولكن بشكلٍ أكثر انفتاحًا وأوعى من مجرمي حماس قليلًا.



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

أما بالنسبة للخميني كتفصيل، فقد كنت قد قرأت مذكرات «حسن بني صدر» وهو أول رئيسٍ لإيران بعد الثورة، ويقول في مذكّراته أن الخميني خدعه وجعله يشرب «حاجة أصفرة»، ولما استيقظ من النوم وجد أنه قد سلبه أعز ما يملك (ضحك عليه)، وهذا كان رأيي في ما كان سيحدث في مصر، ويقول حسن بني صدر أنه كان يعتقد أن الإمام الخميني ثوري وسيقيم العدل، ودولة اليوتوبيا وكل واحد يطلعله جناحين ونعقد نرفرف وأشياء من هذا القبيل! ولكن الخميني داهيةٌ طبعًا وليس سهلًا، رجل قرنٍ وسطيّ كما يجب أن يكون رجل القرن الوسطيّ، وبمجرد دخوله إيران واستتباب الأمر له، بدأت المحاكم الثورية وكانت كلها عبارة عن إعدامات سواء لليساريين أو غيرهم كلّه إعدامات، وكانت الشخصية الشهيرة في إيران، المسؤولة عن المحاكم الثورية رجل اسمه صادق خلخالي هذا كان مسؤولاً عن إعدام الآلاف بالجملة، وهكذا هرب حسن بني صدر وكل اليساريين من أمثاله الذين كانوا السبب في احضار معتوه كالخميني لإيران. وهكذا أصبح الخميني إله إيران الأول والأخير بفضل هؤلاء المعاتيه.

ومن ضمن الأمور التي ذكرها حسن بني صدر أنه رافق الخميني في رحلة إلى تركيا، فقام شخصٌ إيرانيٌ مقيمٌ في تركيا بدعوته لبيته لتناول الطعام، وعند جلوسهم على مائدة الطعام كانت تشاركهم زوجة الرجل وابنته، وهنا ثار الإمام الخميني ورفض وجودهن معه على السفرة وطردهن رغم أنه ليس بيته وهو مجرد ضيف، وهنا يُدلل حسن بني صدر على التخلّف عند الخميني، وأستغرب كيف لم يكن هذا مؤشرًا للحسن بني صدر على حقيقة الخميني، وجاي دلوقتي تفتكر إزاي كان الخميني ابن دين كلب!

ويجدر بالذكر الإشارة الى فيلمين تسجيليين ظهروا في السنوات الأخيرة بما يتعلق بإيران أولهم فيلم اسمه «الملكة وأنا» عن شخصية يسارية كانت موجودة في إيران أيام الثورة، وكيف كانت أحلام الثورة بإقامة دولة يوتوبيا وهكذا وطبعًا قلبت بغمّ، وهي هربت من إيران وأخوها تمّ إعدامه، فعملت لقاء مع زوجة الشاه الإيراني التي تعيش في فرنسا، وكان لقاءًا ممتعًا استمر ساعتين تقريبًا، وفي النهاية توصّلوا أنه كان من الأفضل لو قام الشاه بإصلاحاتٍ تدريجية، وهي نفسها التي كانت ثائرة قالت كان من الأفضل ألا تكون هناك أيّ ثورة، وفيلم كرتون آخر جميل أنصح الجميع بمشاهدته إسمه Persepolis وهو بالفرنسية يتحدّث عن فتاةٍ نشأت أيام الثورة الإيرانية، وعاصرتها وعاصرت أحداثها وسافرت أوروبا، وله ترجمة بالإنجليزية ولغاتٍ أخرى، وهو فيلمٌ ممتع، يعُطيكِ انطباعًا عما حدث في إيران، والكارثة التي كانت مصر مقبلة عليها، لو استمر مرسي هذا في الحكم، كنا داخلين في مرحلة إيران، وأتذكّر كلام هذا المعتوه في آخر مرةٍ رأينا فيها وجهه العكر وهو يقول «أظن بقى سنة كفاية» وكأنّه يقول أنه قد نفد صبري ويجب أن ننتقل الى المرحلة الأخرى وهي مرحلة الاغتيالات والتصفيات والمعتقلات .



مصري ملحد 2
في حوار مع.........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود، أنا لا أعرف للرجل غير موقفه الأخير، اللي هو مساندة السيسي ومساندة مصر في الأحداث الأخيرة، طبعًا يُشكر، ولكن السبب الرئيسي إنه هو خائف على نفسه أيضًا، وتعليق آخر عليه، شاهدت له مرة مقطع، لا يُجيد القراءة فيه، فلا أعلم شخصٌ يمتلك زمام دولة ولا يُجيد القراءة، كيف يكون له فكر!
هو احنا رحنا في داهية من شوية! مع قياداتٍ كهذه، سنكون دول منحطة، وكما أذكر حديث لمحمد : «أينما تكونوا يُولّى عليكم»، هؤلاء نتاج مجتمعاتنا الفاسدة لم يهبطوا من المريخ.
بالنسبة للملك حسين، هناك تشبيهٌ ذكره حسنين هيكل يمسّ الحالة المتعلقة بهذا الملك وهو «أنه عامل زي راكب العجلة، يجب عليه أن يستمر في التبديل بالعجلة لأنه إذا توقف سيقع»، وبالتالي يُمكن اعتبارالملك حسين أنه كان مُحاصر، وكنا دائمًا نسمع اتهاماتٍ ضد الملك حسين أنه خائن وعميل وهو بالفعل قد ارتكب أفعالًا ترقى إلى هذه الاتهامات، هو فعلاً ذهب لإسرائيل وأخبرهم أن مصر تستعد للحرب، ولكن إذا نظرتي بعقلانية للأمر ستجدِي أن الملك حسين معذور هو كان يرى نفسه ضعيفًا ومملكته ليست بالقوة الكافية وبالتالي كان يحاول الحفاظ على ملكه ومملكته، فهناك بعض الدول حكم عليها موقعها الجغرافي أنها ستكون «ملطشة» (هناك دول حكم عليها موقعها الجغرافي بلعنة مثل بولندا أيضًا، كانت مصابة بلعنة موقعها بين هتلر والروس وغيرهم) وهو لم يرد لدولته أن تكون ملطشة، وأنا اعتبر الملك حسين رجل عقلاني ولم يكن وهابيًا أو مجنونًا كالبقية وتحسّ أنه ابن ناس ليس مثل البقية، ولكن أكثر موقف استنكرته لهذا الرجل كان عندما أيّد غزو صدام للكويت،(أول ما فعلته عند حدوث حرب الكويت، دوّرت الراديو على راديو الأردن ولاحظت أن التعاطف مع صدام كان ١٠٠٪) وكنتي تحسّين أن الملك حسين كما يقولون «بيلعب على الحبلين» وقتها، ولكن يُمكن في النهاية القول أنه كان رجلًا متعلمًا بعكس البقية وكان يُحاول أن يُحافظ على ملكه وبلده .
وأحب أن أضيف أنه بعد انتهاء مهزلة غزو الكويت، أصدر كتابًا اسمه «الكتاب الأبيض» حاول فيه أن يبرّر موقفه ذو الوجهين بما يتعلق بهذا الغزو، ولكن أعتقد أن المحاولة فاشلةٌ لأن الأمر أوضح مما يُمكن أن يُخفيه.

١٩- لا يصحّ الكلام في السياسة دون التطرّق لذلك الوزغ الذي ينفخ على النار وهنا أعني قطر، التي لعبت وتلعب إعلاميًا من خلال قناة الجزيرة دورًا كبيرًا على الساحة. نترك لك المجال للتعبير عن رأيك بخصوصها .

يُمكن اعتبار الكشك الذي يُسمّى قطر يتكون من ثلاثة أشخاص، موزة والحلوف زوجها وابن موزة وفي رأيي هؤلاء هم الشعب القطري وكفى، ويُمكن الاستدلال بكلامي بأنهم لما أرادو أن يأتوا بفريق كرة يد قاموا بشراء لاعبين من الخارج لأنهم لا يملكون شعبًا يستطيعون أن يكوّنوا منه ١١ لاعب ! ويُمكن تسمية هؤلاء بالتعبير الفرنسي الذي بما معناه



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

«الأغنياء الجدد»، ويُمكن ملاحظة هذه الظاهرة أيضًا في مصر، شخصٌ حصل على مال فجأة بطرق شرعية أو غير شرعية وكان شخصًا جاهلاً جهولاً، بالتأكيد لن يسعى لاستثمار ماله في تحضير رسالة دكتوارة مثلا، بل ستجدِيه ينفق ماله على صالات الكباريه والمخدرات ويشتري أفخم السيارات لكن لن يستمثر أمواله في أشياء محترمة لأن أصوله غير محترمة، ويُمكن اعتبار حُكام قطر أيضًا من نفس تلك الفئة، ومن أجل الصيت والشهرة رأيتهم قد فتحوا ماخور مثل «الجزيرة» منبر الفتنة الأول في العالم العربي، ومعتقدين أنهم قد وصلوا فعلاً وصار لهم من الشهرة ما صار! ولكن العيب ليس عليهم العيب على المعاتيه الفارغين أفواههم أمام مثل هذه القناة، وطبعًا رأينا الجزيرة تستضيف القرضاوي والإخوان المسلمين وقال الله وقال الرسول والمشروع الإسلامي، وأيضًا بجانبها قاعدة أمريكية! فنرى أنها تلعب بالوجهين ولكن كما قلنا العيب في البلهاء، فالعالم العربي مستواه الثقافي والتعليمي سيء فقناة مثل هذه استطاعت أن يكون لها تأثيرٌ لأن هذه القناة يستحيل وجودها واستمراريتها في وسط مجتمعٍ راقي ومتعلم ومحترم كالسويد أو الدنمارك ومثل هذه الدول، لكن مسخ كماخور موزة هذا لن تجدِيه إلا في العالم العربي الجاهل .

هناك هاشتاج ظهر «مروج مخدرات»، وظهر فيه وضوح الدور التحريضي الذي يقوم به ماخور موزة، ولكنها أيضًا لها دورٌ تضليليٌ مهم وهذا الدور التضليلي أوصل الإخوان المسلمين للحالة التي هم فيها اليوم، فاكتشف الإخوان فجأة بعد سنةٍ ونصف أن ماخور مثل ماخور موزة كان يبيع لهم الوهم مثل تلك الإشاعات كموت عبدالفتاح السيسي، انشقاق الجيش الثاني، أمريكا ستضرب مصر وغيرها من تلك الأوهام، وبالتالي اكتشف هؤلاء المعاتيه أنه قد تمّ تضليلهم من قبل هذه القناة والتي هي بالفعل قناةٌ منحطة تروّج الوهم مثل مروّج المخدرات، وطبعًا قد رأينا كيف أن قطر أغلقت هذا الماخور (الجزيرة مباشر مصر) بعد المصالحة مع مصر بعد مكالمةٍ من الملك السعودي، وتبقّت القناة الأصلية والتي مازال هناك بعض البلهاء يتابعونها، ومما يُثبت أن هذه القناة مأجورةٌ أنه بمكالمةٍ واحدةٍ تم إغلاقها، فأين حيادية القناة واستقلاليتها، فهل يُمكن تخيل مثلاً أن تغلق قناة ال CNN بسبب صفقةٍ سياسية؟ مستحيل! لكن تلك المواخير هي عبارةٌ عن قنواتٍ مأجورة تفتح وتقفل على حسب الهوى، والأمر في النهاية يرجع لعقل المشاهد الذي يجب أن يكون لديه حسّ نقدي لما يحدث، وطبعًا قناة كالجزيرة قناة بلا إعلانات بل هم يصرفون عليها من جيوبهم، وهذا شيء لاتجدِيه في القنوات العالمية وأيضًا تجدِين أنها قناة تدّعي أنها تنشر الديمقراطية؟ أين الديمقراطية التي يدّعيها هؤلاء في قطر مثلاً؟ وتجدِين الإخوان المسلمين يرضعون السمّ من هذا الماخور، وطبعًا نجد الانحياز وانعدام الحيادية فانقلاب كالذي قام به المجرم حسن البشير، أليس هذا انقلاب أيضًا؟ لماذا لم يتم ذكره ولا الحديث عنه في هذا الماخور؟

قناة تفتح الباب لشخص مثل القرضاوي، أنت أيها العاوي تجلس لتقول السيسي قاتل والسيسي خائن وهذا انقلاب، ألم تنظر لتاريخك الإسلامي النجس الذي كلّه انقلابات؟ الدولة العباسية عندما انقلبت على الدولة الأموية ؟أم صلاح الدين الأيوبي الذي هو أكبر انقلابي في تاريخكم وانقلب على الحاكم في مصر وجلس مكانه؛ فما الجديد في تاريخكم، تقول عن



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

السيسي هو أول قاتل انقلابي؟ ألم تنظر إلى تاريخك الممتد ١٤٠٠ سنة والذي لم تهدأ فيه الانقلابات يومًا واحدًا! فالدولة العباسية عندما أطاحت بالأمويّن، نبشوا قبور الأمويين ومثلّوا بجثثهم، فلتتكلّموا في هذا الماخور عن ذلك التاريخ القذر، ولولا جهل الجهلاء في العالم العربي لما ذاع صيت هذه الماخور الخرب في تلك المدعوة بقطر.

وعندي إضافة بالنسبة لموضوع قطر، كانت هناك دولةٌ خليجيةٌ متميزةٌ بالرغم من أنّها تنتمي لنفس منظومتهم، ألا وهي الكويت، فقد مرّت عليها فترة كانت تُصدر فيها إصداراتٍ ثقافيةً في منتهى الروعة، والكتاب الذي ذكرته سابقًا كان صادر في الكويت، تابعٌ لسلسلةٍ إسمها عالم المعرفة، وكانت تُصدر مجلة العربي وعالم الفكر والمسرح العالمي، ومجموعة أخرى من الإصدارات وهذا جعلها متميزةً وسط الدول الخليجية، وفي نفس الفترة تقريبًا – السبعينات وأوائل الثمانينات- حاولت قطر أن تلعب نفس الدور فأصدرت مجلةً إسمها الدوحة عبارة عن مسخٍ معرفي تحاول أن تحاكي مجلة العربي، والأهم من ذلك أنها أصدرت مجلةً تسمى «مجلة الأمة» كانت تؤرخ لماخور موزة من سنة إنشائه ٩٥، وهي مجلةٌ إسلاميةٌ وكان مُتزعّمها القرضاوي، وبقية عصبة العلماء مثل الغزالي وغيره، لذلك فاختراق الإسلام السياسي لهذه العائلة المسمومة كان سابقًا لوجود قناة الجزيرة، كان القرضاوي ينخر في جسد هذه الدولة وطبعًا يزيد رصيده في البنك وهو مستمرٌ في النخر، وغالبًا طوال مدة بقائه في قطر أحدث تغيير كمّي ونوعي في الفكر، وأصبح هو السلطان غير المتوّج لدولة قطر، من خلال مجلة الأمة، لا أدري إن كان لها أرشيفٌ أو نسخٌ مطبوعة حتى اليوم، ولكنها كانت مجلةً تحريضية، تتناول الجهاد الأفغاني والهرتلة القرضاوية في الإسلام السياسي وتكرار نفس الكلام والإسلام هو الحل وهكذا، أحببت أن أضيف هذه المعلومة في مسألة ماخور موزة وإرهاصاته.

٢٠- بعيدًا عن نظريات المؤامرة التي تدافع عن الإسلام هل من الممكن وجود نظرية مؤامرةٍ حقيقيةٍ من جهةٍ تقوم مشكورةً بالعمل على تدمير الإسلام بواسطة الإسلام؟ فتطوّر الأحداث في السنوات الأخيرة بدايةً بالربيع العربي وليس إنتهاءًا بداعش يحدث بسرعةٍ كبيرة وبخطىً واثقة وكأنّها مدروسةٌ بالفعل تقود لتغيير الرأي العام العالمي من الإسلام وعسى ولعلّ أن تنجح في تقليم أظافره وأنيابه إن لم تقضي عليه كليًا. اعتمادا طبعًا على غباء الدهماء من المسلمين المتطرّفين الذين يسهل التحكم بهم وردّات فعلهم المعروفة بشكلٍ جيد؟
هل تجد هذا السيناريو منطقي أم أنّ الموضوع مجرد فوضى بالإضافة للإعلام الحديث والإنترنت وأجنداتٍ مختلفة؟!

كلمة مؤامرة أصبحت كلمةً سيئة السمعة، وكلّما حاولنا تفسير الأحداث على أنّها مؤامرة، سنُصاب بخللٍ نفسيٍ وعقلي، كما هو حادثٌ في المجتمعات الإسلامية لأنّها تعتمد على نظرية المؤامرة في تفسير أيّ شيء، وهناك نظريات مؤامرةٍ شائعةٍ وهناك نظريات مؤامرة ممكن أن تتفاجأ بها ستوقعك من الضحك، ولا تعلمي أساسًا لماذا هم متمسكّين بها،



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

مثلًا شخصٌ أعرفه، إسلاميٌ ولاسعٌ قليلًا في موضوع المؤامرة، لايوجد حدثٌ يحدث إلا ويربطه بمؤامرات، مثلًا سقوط كوبٍ أمامك وانسكاب مافيه على الأرض، طبعًا هذا يُمكن تفسيره فيزيائيًا بسهولة، ولكن هو قد يجلب لك أمور غريبة ويدخل الجن في الموضوع وأمور أخرى بهذا المعنى، وأيّ نظرية مؤامرة في العالم هو مُتبنّيها، من ضمنها قوله أن أمريكا لم تصعد إلى القمر، وأن الصور كلها كلامٌ فارغ، وأنهم يضحكون علينا، وكذلك تفجيرات برجي التجارة ١١/٩ و أن أسامة بن لادن لم يقم بها وأمريكا هي من قامت بها، وبقية السلسلة.

وهذا هو الدخول في مناطق من الصعب أن تدخليها بعقلك وتخرجي سليمة، وحقيقة الأمر أن ما يُسمى بالمؤامرة هي مجرد مصالح، فمن مصالحه تتعارض مع مصالحك سيُحاول أن يغلّب مصالحه، وهذا وضعٌ طبيعيٌ فمن اختلفت مصالحي معه سأحاول أن أكسب عليه، والمشكلة ليست فيما أفعله، بل كيف تفهمه أنت وكيف تكون ردة فعلك، أو ممكن أن تأخذ أنت عنصر المبادئة وتقوم بعمل نفس الأمر بي، لنأخذ مثلًا العلاقة مع إسرائيل، هل تعتقدي أن إسرائيل ستضمر أيّ نوايا حسنة تجاه الدول العربية؟ لا طبعًا، فطبيعة إسرائيل بالنسبة لنا عدوّ ونحن بالنسبة لها عدوّ، فمن الطبيعي أن تحاول إيذاءك هذا ليس من الصعب فهمه، المشكلة أنت ماذا ستفعل؟ خلاص هم يتآمروا علينا فما نحن فاعلون؟

مرة كنت أكلم شخصًا أمريكيًا بنوعٍ من الدعابة فقلت له:« لو لديكم عقل المفروض أن ترموا تمثال الحرية في المحيط وتضعوا بدلًا منه تمثالًا لمحمد، لأنكم لن تجدوا شخصيةً خدمتكم أكثر من هذا الرجل، فمحمد ومشايخه وأتباعه في منطقةٍ كاملةٍ، وأنت تقومون بضخّ البنزين، وتبيعوا وعايشين حياتكم قشطة، والمشايخ يليّنون الموضوع بفتاويهم، حكم الاستعانة بالنصارى، ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك، وأنتم مستمتعين وعايشين حياتكم كاملة، مع بعض الخدوش البسيطة، فعملية ١١/٩ جاءت حديثًا وأما قبلها كان كل شيءٍ سداح مداح »

الحقيقة أنه من وجهة نظر الأمريكي هذه المنطقة اسمها حضارة البترول، هو يريد البترول لأنّه من دونه كل شيء سيتوّقف، فهو هذه مصلحته، ونحن أيضًا نأخذ تكنولوجيا ونطوّر أنفسنا، ولكن ليس دائمًا هذه الحالة، فيصرفون أموالهم على النساء وتجارة المخدرات أو إنشاء قنواتٍ مثل ماخور موزة والتحريض، هذا ما نحن فالحين فيه.

المشكلة ليست عندهم بل عندنا نحن، فقد شاهدتُ حوارًا لبندر بن سلطان يسألونه عن الفساد في السعودية، فقال: لنفترض جدلًا أننا أنشأنا بنيةً تحتيةً بـ ٤٠٠ مليار دولار، ما المشكلة لو أخذنا منهم ٥٠ مليار؟



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

هذه طبيعة مجتمعاتنا فالمشكلة عندنا نحن، هم يبحثون عن مصالحهم، ومشكلتنا أننا شعوب ممزقةٌ وجاهلةٌ متخلفةٌ، فيها طبقاتٌ تسرق وتنهب، فمسألة المؤامرة الدخول فيها سيتوّهنا بزيادة، إنما المفروض أن ننظر لأنفسنا في المرآة ونحدّد أخطاءنا ونعالجها، هذا بالنسبة لنظرية المؤامرة.

بالنسبة للإسلام، أذكر الجملة الشهيرة لجورج بوش عقب أحداث ١١/٩ قوله:
Islam is the religion of peace

وحتى اليوم فأنا لا أرى هذا الهياج بالنسبة للسياسيين الغربيين على الإسلام، إلا في أوقاتٍ قصيرةٍ وعباراتٍ كاشفة، ولكن لا يوجد هذا التجمّع أو التحالف إنه لازم نقضي على الإسلام، لأنّ هذا لو حدث فهم فعلًا ممكن يعملوها، فهم يمتلكون القوة والتأثير لشنِّ حربٍ مكشوفةٍ على الإسلام، وممكن ألا تكون حربًا عسكرية بتاتًا، بل حربٌ إعلاميةٌ وحرب أفكار، وسينتصرون فيها، ولكن ما زال توجّه الساسة الغربيين هو التعايش الحضاري وتعدد الثقافات وعلي وحسين والأونطة دي.

الإسلام بصراحة لم يُصب الغرب بأيّ خدش، خدوشٌ بسيطةٌ جدًا، حتى في مقاطعي لا أتكلّم عما فعلته التنظيمات الإسلامية في الغرب، بل ما فعلته فينا نحن، مثال دولة مصر، أيام حسني مبارك كان جزءٌ من الشعب يقولون علنًا أنهم يضربون السياحة حتى يقوّضوا الاقتصاد، رغم أنهم جزءٌ من الشعب والمفترض أن هذا الاقتصاد يخدم كل الشعب، وهذا يحدث اليوم بطرقٍ أخرى، كأن يضربوا برج كهرباء لكي تُضرب البنية التحتية ويقوّض البلد اقتصاديًا، فالأمراض ذاتيةٌ عندنا وليست قادمة من الخارج، مثالٌ آخر، أين كانت أمريكا حين كان علي ومعاوية يقتلون بعض على الحكم؟ هل أمريكا هي التي تآمرت عليهم؟ أين كانت حين اقتتل يزيد والحسين وقتل يزيد الحسين؟ بل هناك سلسلة حروبٍ طويلةٍ بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية، أين كانت أمريكا؟ وكلا الطرفين يذهبان ليتحالفوا مع أطراف أخرى معادية!
وفي وقت الحروب الصليبية وصلاح الدين، كان المسلمون أنفسهم يتحالفون مع الإمارات الصليبية ضد بعض، فهذه هي عقليّتهم وعلينا الاعتراف أنه لدينا مشكلة علينا معالجتها بأنفسنا، بينما قادة الغرب نعم يستفيدون من البترول والتحالفات وما زالوا يتبنّون مبادئ التعايش الثقافي ولا يوجد قرارٌ غربيٌ للقضاء على الإسلام أو التآمر عليه، قد يتحالفون للقضاء على داعش مثلًا، ولكن خطابهم الرسمي هو عن الإسلام المعتدل.

لديك المستشرقين الغربيين الذي يدرسون الإسلام ولكن ليس بمنهج الأزهر، بل يدرسونه بمنهجٍ نقديٍ، فيعتقد بعض المغفلين أن هذا هدمٌ وشتمٌ للإسلام، ولكن هذا ليس مقصد المستشرقين، هم يدرسونه كما يدرسون الأناجيل بمنهجٍ نقديٍ، بعيدًا عن الكُليات الدينية واللاهوت، هناك مدارسٌ خاصة لنقد الأناجيل، نقدٌ نصّيٌ وتاريخي وهكذا، وحين



مصري ملحد 2

في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

يأتون لتطبيق نفس المناهج على الإسلام والقرآن يقال أن هذه مؤامرة، لا هذه ليست مؤامرة هذا هو المنهج العلمي في مناقشة هذه الأمور.

ولأننا غير معتادين على المنهج العلمي في النقد، نقوم بتصوير المستشرقين على أنهم عملاء ومتآمرون ويسعون لهدم الإسلام، ولماذا هذا الهوس بنظرية المؤامرة، وكأن الـ٦ مليار الآخرين ليس لهم شغلٌ آخر إلا هدم الإسلام، والإسلام بصراحة دينٌ نكرة لا أحد يهتم به، بدون أفلام الإرهاب التي يصدّرها للعالم، فلن يلتفت إليه أحد.

وقد اسودّت الدنيا بوجه المسلمين بسبب الانترنت والفضائيات وانتشار المعلومة، فقد انفتح هذا الخرّاج العفن ولن يستطيع أحد إغلاقه، فكانت صدمةً هائلةً لأناسٍ كانوا يعيشون طول عمرهم تحت الحماية، مثلاً كما في مصر ورواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» جعلوها روايةً ممنوعة، وبالتالي هذه البوتقة والحماية الدائمة من الفكر المُختلف، ومنع النقد من قريبٍ أو بعيدٍ، ولكنّها أزيلت الآن، فكأنك أخذت طفلًا ورميته في ميدان التحرير مثلًا، ستحدث كارثة لأن هؤلاء الناس عاشوا تحت الحماية طول عمرهم، ولذلك أنا ظهرت بوجهي وشخصيتي فقد كنت أسمع دومًا أن الإسلام في انتشار، وأحدهم مرة قال لي: لم أرَ في حياتي مسلمًا واحدًا ترك الإسلام، أعطني مثالًا على شخصٍ واحد ترك الإسلام، فكان ردّي: أنا ! أنا أمامك كنت مسلمًا وتركت الإسلام وغير مقتنعٍ به، وهذا أمرٌ عادي! ولايوجد مؤامرة ولا موساد ولا CIA ، كلّ الموضوع أنّي منذ ولدت لم أستسيغه، فمجرد أن توصل لهم فكرة أنّ الشخص إن لم يقتنع بالدين يتركه، هذا صعبٌ جدًا أن يفهموه، أو يدخل لأذهانهم.

أما بالنسبة للربيع العربي، أذكر حين بدأت الأحداث في مصر، أمريكا نفسها لم تكن تعرف ماذا ستفعل، فلو أنت مُدبِّر لمخططٍ مُعين ستكون خطواتك سريعةٌ مثل لاعب الشطرنج الذي يتحرّك بتركيزٍ وانتباه، ويعرف خط سيره، أما أمريكا فكان فيها تخبطٌ كبيرٌ جدًا تجاه أحداث مصر، وإنّه لمن الخطورة أن يتم تصوير الأحداث على أنها مؤامرةٌ وبالتالي التغطية على كل الأخطاء التي كانت تحدث، رغم أنّه بالفعل كان هناك حالة غضبٍ شعبيٍ عارم، أي نعم البعض قبضوا أموالاً والبعض يلعبون على الحبلين، ولكن هؤلاء لا يستطيعون أن يُنزلوا الملايين للشارع، إلا إذا وُجد غضبٌ حقيقيٌ عند الناس مما كان يحدث، فهناك أشخاصٌ مُحبطون اقتصاديًا وهناك أشخاصٌ معترضون على التوريث، أو تعامل الشرطة، كان هناك الكثير من الأسباب، فلا نستطيع أن نقول أن ما حدث في الربيع العربي والذي أسمّيه شتاء نووي فهو ليس ربيع، ولكنه ليس مؤامرة فقد كان هناك فعلًا أسبابٌ موضوعية، وحسني مبارك لأنه كان يعمل كمجرد موظف يذهب لدوامه في الصباح ويعود في الليل ليشاهد المسلسلات، لم يكن لديه رؤيةٌ ولم ينتبه لتجمّع السحب الذي كان يحدث، وبالتالي حدث ما حدث، ولذلك النظر للموضوع على أنه مؤامرةٌ وأنّه علينا العودة لبناء الدولة دون دراسته، هذا خطأ ولن يُحدث تغيير، فالدنيا لم تكن ورديةً قبل ٢٠١١، وعلينا البحث عن الأسباب ومعالجتها بطريقةٍ موضوعيةٍ حتى لا



تتكرر.

السيسي نفسه منتبهٌ لهذا الأمر ويحاول تجنّب الأخطاء التي وقع فيها من قبله، وهذا أمرٌ جيدٌ من وجهة نظري.

٢١- ما تطرحه يشكّل تطرّف في وجهة النظر يعطي توازن لطالما كان مفقودًا على ساحة التعبير فكم هم كُثر المجانين على الطرف الآخر وما تقدّمه أنت يرسم شخصية مجنونٍ آخر ولكن على الكفّة الأخرى من الميزان، ولقد أثّر بالفعل أسلوبك القاسي والصادم بالكثيرين عندما قمت بتمزيق القرآن ممّا دفع قناةً دينية للحديث عنك والذي كان (لغبائهم) بمثابة إعلانٍ مجانيٍ لقناتك المباركة، كل هذا أضف إليه إهدار الدم والتهديد والوعيد والبكاء والنحيب ... كيف سيكون استمرارك في فرض هذا التوازن، هل سنشهد لك صدمةً كبيرةً جديدة كالتي حدثت عند تمزيق القرآن؟

حقيقةً حين تكون في حالة صراعٍ وجدلٍ مع طرفٍ آخر وتعرف نتيجته وآخره فمن الطبيعي أن تصل لما توصّلت إليه، فأنا أعرف كيف سيرسى الموضوع وأنه في النهاية سيُهدّد ويشتم، هذا أمرٌ كلاسيكيٌ في الحوار مع هذه التيارات، فجبت من الآخر، وهذا الأمر جاء تصاعدي، فأنا حين عملت أول مقطع لم أقم بتقطيع القرآن مباشرة، ولكن كنت أعرف أنّي سأوصل له، بدأت الشتائم والتهديدات ووو إلخ، ولو تراجعت أمامهم أو أظهرت تردّدًا أو خوف، سيتجرّأون عليك أكثر وسيعتقدون أن أسلوبهم نجح في إسكاتك، ويتمادون فيه، فأنا أعطيهم درسًا، أن الأسلوب الذي تتبعونه خاطئ، وبتماديكم أنا سأزداد، وفكرة أنه لديك شيءٌ مقدسٌ هذا لا يعني أني سأقدسّه، وبالتالي هذا هو كتابك، والذي ليس مقدسًا فقط بل هو الكتاب الذي أقرفتنا به وتستمدّ منه الدليل على كلّ الجرائم التي ترتكبها، فكان لابد من إزالة هالة القداسة عنه وتم تمزيقه، وأنا لستُ نادمًا بالعكس سعيدٌ بالأثر الذي أحدثته بهم.

وهم كانوا على درجةٍ من الغباء، وما فعلته تلك القناة وعاطف عبد الرغيف والمهاترات التي حصلت، وكانت مرحلةً جميلة أنك كلّ يومٍ تقوم بعمل شيءٍ ثم تراه في قنواتهم، وعبدالله بئف يظهر وهاتولي راجل والمسخرة التي كانوا يفعلونها.

نقطةٌ مهمةٌ أخرى، وهي استفزاز الخصم لإخراجه عن توازنه، فيبدو كأحمقٍ وغبيٍ ومتهور ويهرتل لأنه غاضب، فيوصله الاستفزاز لمرحلة الغضب والهرتلة، وهكذا تستطيع أن تحسم الموضوع بسرعة، فهي مثل الملاكمة بالنقاط، فتكسب نقاطًا كثيرةً وأنت تجلس مبتسمًا ومستمتعًا بالاستعراض الكوميدي الذي يُقدّمونه، وكان هذا الأسلوب مؤثرًا، ففي حينها كانوا يتحدّثون عن التمكين وإقامة الدولة الإسلامية، فأحببت أن أوصل لهم رسالةً بأنّ الأمرليس سهلًا كما تتصوّرون، فالحرب لم تبدأ بعد ونحن ما زلنا في مرحلة التسخين، فكان لابدّ من ردّ فعلٍ تجاههم يُغيظهم، شيءٌ عنيفٌ يُظهر لهم



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

أن الموضوع لم ينتهي بأنّ مرسي رئيس وإقامة دولة إسلامية، لا ده انتوا لسه أيامكو سودة، والكثير يتّهمني أنّ موقفي متطرف، موقفي مبنيٌّ على معرفةٍ مسبقةٍ تخبرني أنّنا مُقبلين على كارثة، ولتفادي هذه الكارثة لابدّ من اتخاذ موقفٍ حتى لو يبدو أنّه متطرف، إذا كان ما يهزّهم هو تقطيع القرآن فليكن، نقطّع مليون دين أم ألف قرآن، لو ما يهزّهم هو هدم الكعبة نهدم الكعبة، فالأمر يتعلق بمصير دولٍ وشعوبٍ وكلنا كنا رايحين في ستين داهية، وهم حفنةٌ من الحمقى لم يُصدّقوا أنفسهم أنّهم جلسوا على مقعد القيادة، بسبب غباء شعبٍ مغيب، فاعتقدوا أنّهم يستطيعون فعل ما يريدونه حتى لو كان الذهاب بالبلد إلى الهاوية، وكانوا يقولونها علنًا، عبدالله بئف قال : مش مهم البلد تولع المهم نطبق الشريعة، لا يعنيهم حياة الناس ومصالحها وتقدمها، أهم شيءٍ أن نجلد بعض في الشوارع ونرجم ونقطع الأيدي والأطراف كي نهدأ ونستريح!

عقليّاتٌ كهذه لا ينفع معها إلا هذا الأسلوب، يجب أن تكون وقحًا وليفهم أنه لو تجاوز قيراط أنت ستتجاوز ٣٠٠٠ قيراط، وهكذا كانت الحرب بيننا.

ولو هم عندهم عقلٌ ويؤمنوا بإله، فانظر كيف انتهى الأمر، مرسي في السجن، عبدالله بئف وهاتولي راجل أيضًا في السجن، وأنا زي ما أنا باشا وكاميرا بربع جنيه وما زلت أهرتل، فالإله كان معنا ضدهم، هذا بمفهوهم هم.

أنا أول مواطن مصري طلع شتم مرسي بعد وصوله للسُلطة بدقائق، هم افتكروا إنّهم خلاص وصلوا للسُلطة انتهى الموضوع، لا ده كان لسه الحرب في بدايتها وكان لازم أن يتمّ الهجوم بهذا الشكل، ومرة عملت مقطع عن باسم يوسف، فما فعله باسم يوسف بالفعل كان مهمًا، رغم أنه برنامج كوميدي ولكن مجرد أن يأتي بالشيوخ ويضحك عليهم ويجعلهم سخريةً للناس هذا كان أمرًا جيدًا جدًا، وكانت ردّة فعلهم أن باسم يوسف هذا كافرٌ وخارجٌ عن الإسلام ويُهين المشايخ والعلماء، فاتّهموه بالتطرف، ولكن ما فعله كان يجب أن يحدث، وبدونه كان من الصعب أن تنجح خلخلة هذا النظام في سنةٍ واحدة.

وعلى فكرة ما زال ذلك التيار له تأييدٌ شعبي حتى اليوم ورغم سقوط مرسي، ما زال خرفان الأخوان موجودين ويسعون للخراب، وهم نظريّتهم في الإسلام السياسي هي نظريّة العدد في اللمون، هم معهم العدد فعلًا، ولكنهم ليسوا منتبهين أن الطرف الآخر المُعادي لهم قد يكون عدده أقل نعم، لكنه أكثر نفوذًا وأكثر تأثيرًا وأكثر عقلًا وأكثر تعليمًا فالواحد منهم بعشرة من الأخوان، وهم نعم حاشدين آلاف في الشوارع وبتاع، لكنهم لا يفهموا تأثير مُمثلٍ مثلًا مثل عادل إمام هو شخصٌ واحدٌ ولكن له حضورٌ مُهم وتأثيرٌ ورأيٌ مُهم، وهكذا فتجد ضمن خصومهم فنانٌ أو كاتبٌ أو أديبٌ أو أستاذ في الجامعة، والإخوان استهتروا بهم، وقالولك هم عددهم قليلٌ واحنا معانا الحشد، ولكن هؤلاء الأساتذة والفنانين كان

مصري ملحد 2

في حوار مع..........



أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

لهم تأثيرٌ وليس فقط بالحشود بل في دوائر صنع القرار في الدولة، تأثيرٌ على الجيش والشرطة والقضاء والإعلام، فالأخوان كانوا متجاهلين لكلّ هذا وكان إعلامُهم يقدم لنا نماذج كوميديةٍ مثل خميس وغيره ومهازل كوميديةٍ في قنواتهم، فكانوا مغرورين بالعدد ولكن الطرف الآخر أقوى تأثيرًا وأقوى نفوذًا، وبالفعل كما ذكرتَ في سؤالك فإن قوّة الطرف الآخر أحدثت توازن أمام أعدادهم رغم قِلّة العدد لدينا، وكانت ضربات هذه القِلّة موجعةٌ، وكلّ ما كان يحدث في برامج التوك شو وانتقاد مرسي كان تأثيره قويًا، فكان يجب أن يكون الضرب موجعًا.

بالنسبة لإحداث صدمةٍ جديدة، لا فأنا خلاص، كلّ ما كان يهمّني هو زوالهم من الحكم، والآن هناك نظامٌ جديدٌ في الحكم فلا حاجة للاستفزاز، لنترك الأمور تمشي بسلامٍ حتى نرى على ماذا سترسو، وهذا نوعٌ من احترام النظام الجديد واحترامًا للسيسي، ففي عهد مرسي الذي كان يحفظ القرآن تم تقطيعه، وأما في عهد السيسي الذي يقولون عنه كافر وابن يهودية ويُريد تدمير الإسلام، أنا امتنعت عن تقطيع القرآن، مؤقتًا وممكن في أي لحظة أن أعيد الكرة.

- لن تقوم بتقطيع القرآن، لكن إذا حصل تطورٌ جديدٌ هل ستُعلّق عليه من جديد؟

أنا مدركٌ لخطورتهم بس مش لازم أقطّع القران خصوصًا أنّ الرئيس السيسي يتكلّم عن الإسلام المعتدل، فما فيش داعي لإشعال الموقف مراعاةً لحساسية الموقف وعدم إحداث أيّ اضطراب، وتقطيعي للقرآن في عهد محمد مرسي هو لأثبت لهم أنّه يُمكن حدوث ذلك في عهد رئيسهم المؤمن، والعكس في عهد السيسي الكافر ابن اليهودية.

٢٢- زاد غيابك عن القناة رغم تطور أحداثٍ كبيرةٍ في مصر والعالم ... هل تشغلك مشاغل الحياة الآن أكثر من قبل أم أنّ الأحداث لم تعد تستثيرك لتسجيل فيديوهاتك والحديث عنها؟

نعم فعلاً لدي مشاغلٌ كثيرةٌ بالإضافة إلى المضايقات التي تتعرض لها القناة من شكاوى ومحاولات تهكير وغيرها (كأننا في مدرسة ابتدائية، ضربني يا أبله ويروح يشتكي) وأنا ليس عندي وقتٌ لمراسلاتٍ وأخذ وردّ مع اليوتيوب.
لماذا لا تتم محاربتي والردّ علي مواضيع قناتي منطقيًا والردّ بشكلٍ عقلانيٍ بدون سبٍ وشتمٍ وتهكيرٍ للقناة، كلّ ردودهم في مقاطعهم على اليوتيوب مجرد شتائم.

لديّ قناة وأظهر متى أردت، والموضوع في الحقيقة مزاجيٌ لذا فمنذ سقوط محمد مرسي فقدتُ الدافع الرئيسي للظهور في القناة فقد حققنا ما نريد.



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

٢٣- لقد أُغلقت قناتك أكثر من مرة، هل تفكّر في تطوير مشروعك؟ ربما إنشاء موقعٍ خاص لفيديوهاتك بعيدًا عن اليوتيوب؟

أنا معتادٌ على اليوتيوب، هناك الديلي موشن ولكن لا رغبة عندي، ولا حاجة للتطوير، تكفيني الكاميرا بربع جنيه وأنا موجود وأهرتل، ولا نية حتى لاستعمال برامج تعديل مقاطع الفيديو أو غيره، هل سأطوّر المشروع وأفتح قناة تلفزيونية مثلًا؟ ليس عندي الرغبة في ذلك، سيبها بظروفها.

الموضوع كما ذكرت مزاجيٌ وتحفيزيٌ بسبب وجود الإخوان في السُلطة بعد زوال المُحفّز أصبتُ بالكسل فحاليًا لا توجد نية لذلك إلا إذا تغيرت الظروف من يدري؟!

٢٤- مجلة الملحدين العرب مرّ على إنشائها أكثر من سنتين وأتمّ موقع قناة الملحدين بالعربي عامه الأول ...كيف ترى تحرّك الشباب العربي في هذا الشأن؟

في الحقيقة أنا مذهولٌ مع إنّي بالفعل كنت أستشعر وجود هؤلاء الشباب تحت السطح الذين لا يستطيعون الظهور بسبب وجود المشاكل في هذه المنطقة الموبوءة من العالم لكن بالرغم من ذلك، حصل ظهورٌ ضخمٌ أكثر مما كنت أتوقع والدليل على ذلك وجود ما يُسمّى موجة الردّ على الملحدين ولقاءاتٍ تلفزيونية، وأصبح الموضوع مطروحٌ وسؤالٌ ملحٌ في المجتمع، وبدأت الناس تسأل وتستفسر عن الإلحاد بالرغم من أنه قبل سنين لم تكن الناس تدري ما هو الإلحاد، وأصبحت الاتهامات تتوزّع وليست حكرًا على مجموعةٍ ما، وهذا أمرٌ عجيبٌ في مجتمعاتٍ قمعيةٍ مثل المهزلة التي تجري في السعودية ضد مُدوّنٍ تمّ الحكم عليه بألف جلدةٍ وانشغال الصحف العالمية بهذا الأمر، وهذه الأحداث فاقت كل التوقعات والأمر في ازديادٍ ويبدو أنّه في وقتٍ قريبٍ سنصل للكتلة الحرجة، ويكون هناك وجودٌ حقيقيٌ وفعليٌ ومؤثر للملحدين، فقط العملية تحتاج إلى المزيد من القراءة والتثقيف لأن الناس أصبحت مخنوقة من الدين وحتى يكون هناك بديلٌ آخرٌ يستحق الاحترام لكن للأمانة ما يحدث مشجعٌ جدًا.

٢٥- هل هناك ما يُمكن أن نفعله كملحدين عرب لإسراع عجلة التغير في الثقافة والمجتمع العربي؟

بسبب المجتمعات القمعية في الوطن العربي لم نتعوّد على العمل الجماعي المعروف عنه أنه مفقودٌ في الدول العربية كلها، والكارثة أننّا لو اجتمعنا أخذنا نشتم في بعضنا البعض كما نلاحظ من التعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

من مختلف الدول العربية، مهزلةٌ حقيقةٌ نلاحظ فيها تحوّل مواقع التعارف الاجتماعي إلى مواقع للشقاق والنزاع الاجتماعي، لكن نرجو أن تتطور الثقة في العمل الجماعي مع إنّي من أسوأ الأشخاص في هذا الجانب لكن الأفضل هو العمل الجماعي للقادرين عليه، وهذا أفضل وأنجح من المجهودات الفردية.

- هناك الكثير من الشباب المتحمّس للعمل في المجلة والتنوير وهي أعمال تطوعية

أنا أفهم الموضوع، لكن أتمنى أن تكون هناك برامج عمل وقضايا محددة يتم التعامل معها والأطراف الأخرى وكيفية التعامل معها، وعدم تقديم التنازلات والضرب في جذور المواضيع مثل محمد والقرآن وليس القضايا الفرعية مثل أيّهما أفضل حرق الكساسبة أو قطع رأسه، لأن الدخول في القضايا الفرعية ليس له معنى.

وفي معنى العمل الجماعي كما جاء في حديث محمد « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » فأهمية العمل الجماعي تكمُن في قوّته فإذا كان الفرد يعمل وحيدًا فسيتم أكله، كما تم أكل فرج فوده ونجيب محفوظ وغيرهم لأنهم كانوا أفراد، لكن عندما يرى الطرف الآخر أن هناك جماعةٌ بإمكانها أن تدافع عن نفسها سيجعل لهذه المجموعة هيبةً كبيرةً على الأرض، وفي مواجهة الأطراف الأخرى ونفسيًا يُعطي للمجموعة دفعةً معنويةً قوية.

لأنّ كلّ ملحدٍ قد يعتقد أنّه وحيد، أو شاذٌ عن المجتمع، ولكن حين يجد مجموعةً تدعمه سيأخذ دفعةً معنويةً تقوّيه.

٢٦- كيف ترى مستقبل العقلانية والإلحاد في مصر والعالم العربي في ظلّ واقعنا التاريخي وجذور الدين فيه مع تغيّر الأحداث السياسية والثقافية المتسارعة وتنوّع العناصر المؤثرة فيها؟

أنا شخصيًا أؤمن بأن الاقتصاد هو محرك كل شيء، لو حدث تحسنٌ اقتصاديٌ فسيتغيّر كلّ شيءٍ ولي تجربةٌ في هذا الجانب، وأحبّذ كثيرًا الاستثمار الأجنبي فمثلاً المدن السياحية في مصر مثل الغردقة وشرم الشيخ وغيرها، عندما نخالط المصريين الموجودين في هذه المدن نلاحظ تغيرًا فكريًا ضخمًا، مثلاً أحدهم الذي كان يعتقد أن المسلمين خير أمةٍ أخرجت للناس، بعد مخالطته ورؤيته لجنسيات العالم المختلفة في الغردقة صرّح أنه من المستحيل أن المسلمين بتصرّفاتهم السيئة سيدخلون الجنة ومن يخالفونهم بكلّ جمالهم ورُقيّهم سيدخلون النار، وبهذا تخلّى هذا الشخص عن مبدأ مهم من مبادئ الإسلام وهو مبدأ الولاء والبراء، لذا فإنّ الاختلاط بالجنسيات الأخرى فيه نوعٌ من أنواع التفتح ويترك أثره الثقافي العميق فنجد الفرد المصري في هذه المدن يتزوج بامرأةٍ غير عذراء ولا مشكلة لديه، ومن الواضح هنا تغيّر مفهومهم عن



مصري ملحد 2
في حوار مع..........

أراء المحاورين تعبر عنهم و لا تعبر عن سياسة المجلة

الشرف تماماً بعكس المصري الذي يذهب للعمل في السعودية ودول الخليج يعود بأفكارٍ متخلفةٍ يعيد زراعتها في مصر. ففكرة الاحتكاك الحضاري مهمةٌ جدًا وإذا نجحنا في إحداث حراكٍ اقتصاديٍ مهمٍ في مصر، وبالذات في موضوع الشركات الأجنبية لأن التغيير الاقتصادي هو المحرك الحقيقي للتغيير لأن فرص العمل الجاد والملتزم تقلل من فرص التجنيد لداعش وغيرها من الجماعات الإرهابية، لأن أغلب المُنضمّين لهذه الجماعات يعانون من الفراغ والفشل فينتهي بهم الحال في أحضان هذه الجماعات، بعكس وجود مجتمعٍ ناجحٍ اقتصادياً وفرص عمل وحراك اقتصادي، لذا فدور الاقتصاد مهمٌ جدًا أكثر من المظاهر الديمقراطية والانتخابات من وجهة نظري .
الاستقراروالاقتصاد وجذب الاستثمارات الأجنبية سيحلّ مشاكلنا.

٢٧- رسالة تحب أن توجّهها لقرّاء المجلة من ملحدين ومؤمنين؟

الجواب على هذا السؤال الكلاسيكي التقليدي هو أني أتمنى حياةً سعيدةً وهانئةً لجميع القرّاء وبالرفاه والبنين .وأنصح جميع الملحدين العرب بمحاولة جذب الدعم والتأييد من حلفاءٍ يُفترض أنّهم طبيعيين مثل ريتشارد دوكنز، وطبعًا فقدنا صاحب اللسان الحادّ كريستوفر هيتشنز، ولكن البقية مثل سام هاريس وغيره، كل هذه الشخصيات لها ثقلها، وأيّ دعمٍ مرحبٌ به، وأن تتواصلوا مع ريتشارد دوكنز حتى يدعمكم سياسيًا ومنهجيًا وحتى يُساهم في تغيير نظرة الغرب للتيارات الإسلامية، لأنه فاقد الأمل في المجتمع العربي ويهتم بسياسة أمريكا والغرب، والمعركة ضد التيارات الإسلامية الإجرامية هي معركةٌ لا تخصّنا وحدنا بل تخصّ كل دول العالم.
نشكرك كثيرًا لوقتك وجهدك معنا

إعداد: الغراب الحكيم، غايا آثيو، John Silver
تقديم: غايا آثيو
متابعة وتفريغ: Y.Ismaiel- Abdu Safrani- Nora Ahmed-Hadi Kozma

http://www.ahewar.org

الحوار المتمدن

الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن
يسارية , علمانية , ديمقراطية
"من أجل مجتمع مدني علماني ديمقراطي
حديث يضمن الحرية والعدالة الاجتماعية للجميع"

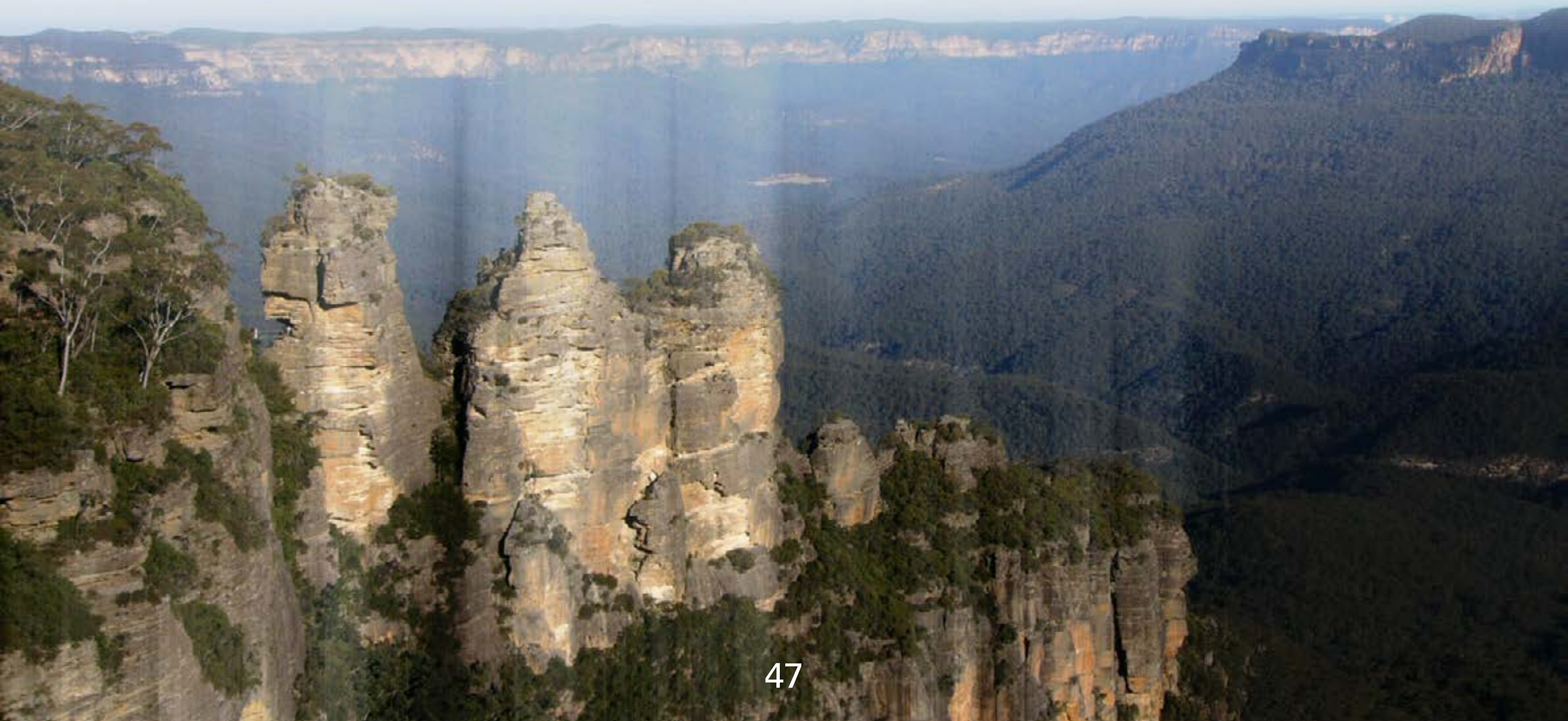
الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز (٤)



Matheos Harison

سلسلة تفنيداتٍ للإعجاز القرآنيٌّ المزعوم من النواحي العلمية والتاريخية واللغوية والمنطقية

الحلقة الرابعة: مطاردة الخبل في أدنى الأرض وأعلى الجبل.




Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

الشبهة الأولى والثانية والثالثة: في أدنى الأرض، نصر الروم وفرح المؤمنين.

ملخص الشبهات:

علّق القرآن على حرب فارس والروم بآياتٍ، قد احتشدت بالمعجزات احتشادًا، في مفتتح سورة الروم، فقد قرر القرآن أن الروم هُزموا في «أدنى الأرض» قبل أن يأتي العلم متسلّحًا بحديث تقنياته ليخبرنا أنّ أخفض مناطق الأرض إنما هي سواحل البحر الميت في فلسطين والأردن، أي ميدان تلك الحروب كما أخبر علّام الغيوب. ثم قرّر القرآن أنّ الروم}من بعد غَلَبهم سيَغلِبون، في بضع سنين{ وقد كان أن كرّ الرومان على الفرس فهزموهم وألجأوهم إلى ديارهم بعد أقلّ من عشر سنين من هزيمة الروم، تصديقًا لنبوءة الوحي المعصوم. ثم قرر القرآن أنه «يومئذٍ»، أي يوم نصر الروم على فارس، «يفرح المؤمنون بنصر الله»، وقد كان أن انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر، تزامنًا مع نصر الروم على الفرس. فتمّت بذلك المعجزات، ثلاثة أخبار تُعجز البشر، فلا يمكن أن تصدر إلّا عن ربّ البشر، ولا ينكر إحداها إلا جاحدٌ عتا في التكبر عتوًّا كبيرًا.

التفنيد:

الشبهة الأولى: شبهة أدنى الأرض:

هذه الشبهة تقوم على ثلاثة افتراضات لازمة لها، فإن تم إثبات ثلاثتها فهي تكون قد ثبتت بذلك، وإن اختلّت إحداها، وإن وحدها،اختلّت بذلك معها. تأتي اثنتان منها بهدف إسقاط مقالة القرآن أن «غلبت الروم في أدنى الأرض» على الحقيقة العلمية القائلة بأن «أشد مناطق الأرض انخفاضًا هي سواحل البحر الميت». وهما:

-1 أدنى الأرض تعنى أخفض الأرض(أي أشد مناطق الأرض انخفاضًا).

-2 المنطقة التي غُلب الروم فيها هي سواحل البحر الميت.

والافتراض الثالث هو لازم «الإعجاز»، وشرطه، ومفرقه عما عداه من «الإمكان»، وهو:

-3 أنه من المستحيل أن يصف القرآن سواحل البحر الميت بأنها أخفض الأرض، في ذلك العصر ما قبل العلمي، إلا بالوحي من الله.

وللأسف الشديد، ومع الاعتذار الواجب لمروّجي الشبهة، فإن الافتراضات الثلاثة خاطئةٌ، رغم ما يبدو عليها من الصحة لأول وهلةٍ. وإليكم تفنيدها:



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

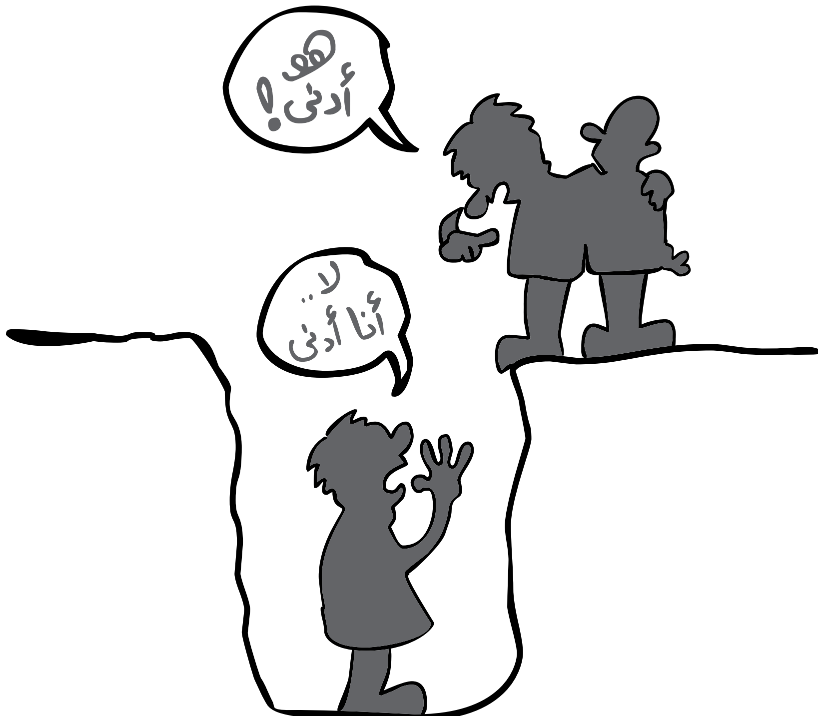
تفنيد الافتراض الأول، شهد به شهودٌ من أهلهم، ففيهم من ينكرون الإعجاز. وقد تعرّضوا لإبطال زعم تكافؤ «أدنى» و«أخفض». وقالوا: الأدنى وأصلها من: دنا أو دنو، لم ترد في المعاجم أن من معانيها الأخفض أو الشيء المنخفض، فقد ورد في معانيها: (القرب، وهو قول الزجاج وهو الأشهر، والشيء الخسيس، وهو قول الأخفش، والضعيف أو الرديء).

وقد وردت في القرآن بعدّة معانٍ من نحو ذلك– وليس ذكر هذه المعان على وجه الحصر- ومما جاء في معانيها: (أجدر وأحرى نحو: وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ،أقرب نحو: في أدنى الأرض. ويأتي القرب في الزمان وفي المكان،أقل نحو: وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ، الخسّة والحقارة نحو: أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ وقيل: إنه الشر.)

وينظر في ذلك: الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ص(78)، ووالوجوه والنظائر للدامغاني (113/1)، ونزهة الأعين لابن الجوزي (119) وبصائر ذوي التمييز(179/2)، و تهذيب اللغة (132/14)، ومعجم مقاييس اللغة (303/2)، والصحاح (1868/5)، وأساس البلاغة (300/1)، واللسان(297/18)، وتاج العروس(229/1)، والبحر المحيط (381/1) والدر المصون (394-395/1).

فكيف يفسّر أهل الإعجاز ذلك؟ لمروجي الإعجاز حججٌ لا تستقيم لتبرير هذا الأمر. فمثلاً يتحدث البعض عن آية ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(المجادلة: 7)

ثم يجادلون بأنّه لمّا كانت أدنى هنا معناها أقل ،لكونها تُقابَل بكلمة أكثر، فإنّ القلة في العدد يقابلها الانخفاض في الأجسام، لأن فوقيّة العدد يقابلها تعالي الأجسام بعضها فوق بعض، وهذا باطل؛ فهي ولو كانت بمعنى أقل ما ينبغي أن تُحَمَّل معنى أخفض، لأنّ مبنى الدلالات وتحقيق ثبوتها على ثبوت اللفظ المعين «أدنى» يكون في الدلالة على المعنى المعيّن «أخفض» وهذا غير موجودٍ إلّا بطريق النظر والقياس وهو ليس من العمل الجائز في تعيين الدلالات.





Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

ويستشهد البعض منهم أيضا بقولنا «معدّل أدنى درجات الحرارة» و«درجة الحرارة الأدنى»، أو كما في عبارة - الموقّعون أدناه - الذين تأتي توقيعاتهم عقب كلام مكتوب ولكن لا يُستَدَلُّ بما يصحّ أن نقوله نحن، وإنما فقط بما قالوه بلسانهم هم، وما قالوه بيّنٌ أمامنا فالكلمة في مواردها الصريحة بمعنى أقرب وهذا محلّ اتفاقٍ بيننا، ثم إنّ لها موارد أقلّ بلاغةً وهي أشبه بالدلالة الصريحة لـ«أقرب». فمحلّ النزاع هوأن يِثبت المخالف إثباتًا صريحًا ورود لفظة «أدنى» في اللسان الأوّل بما يُراد بها «أخفض».

ولهم حجة أخرى، إذ يستشهد البعض منهم بـ«لسان العرب» وفيه أنّ الأَدْنى هو السَّفِلُ، غير أنّ هذا لا يعدو أن يكون اقتطاعًا من السياق، فإن أنت أكملت الكلام فستجده يدور في فلك السفل المعنوى من خسة وحقارة وبذاءة ودونية.. الخ، وما تطرق «أدنى» إلى وصف ماديّ إلا بالقرب والقلة في العدد والقيمة، وما في الكلام أيّ تطرّقٍ إلى سفل بمعنى الانخفاض في الطول والارتفاع قط.

ولكن يقول هؤلاء أنّها إذا استخدمت للحقارة والخسة المعنوية جاز أن تُستخدم للانخفاض الحسيّ على وجه المجاز، لكن وإن كانت جرت على هذا المعنى المجازيّ، فلابد أن يثبت بعربيةٍ صحيحةٍ أنّ العرب استعملت أدنى في موضع أخفض مجازًا. ولا يجوز عمومًا حمل الكلمة على معنى قبل ثبوت استعمال هذه الكلمة في الدلالة على هذا المعنى من قبل العرب، بقطع النظر عن ثبوت نظريّة المجاز من عدمه.

إذا ادّعيتُ أن لهذا اللفظ معنى حقيقيًا ومعنى مجازيًا فلابد أن أثبت بالحجة أولاً أن العرب استعملت اللفظة في كلا المعنيين. لابدّ أن أثبت بالحجة أولاً أنّ هذا المعنى استعمله العرب لما يوافق هذه الدلالة، وإلا جاز لمن شاء أن يدّعي في أيّ معنى شاء أن العرب استعملت في الدلالة عليه أي لفظ شاء. وهذا خطل في الدلالات وتألٍ محضٍ على العرب وكذب عليهم. إنما الدنيّة هي خسيس الأمر كله، ولا يُراد من إتيان أدنى في آية الروم ما يزعمه هؤلاء، وحمل أخفض عليها انما هو من باب قياس لساننا بلسانهم وليس هو من لسانهم حقًّا، إذ لم تضع العرب في هذا الموضع أخفض أو خفيض، وهم لا يستعملون مادة خفض، فيما رأيت، إلّا في موضع الأخذ من الطول، وقد أتت لفظة أدنى في قرابة أربعين موضعًا من أجزل الشعر وفصيحه كلها بمعنى أقرب. فهذا ألف باء فقه الدلالات وتعيين المعاني.

وأيّ متكلمٍ بالعلم لا يجوز له أن يقول إنّ اللفظ (س) من معانيه (ص) من غير بيّنةٍ على أنّ العرب قد استعملت (س) في (ص)، بل إنّ هذا من القول بغير علم لا ينتطح فيه عنزان، والكتاب أو السنة أو شعر العرب أو محكم أمثالهم كله يصلح دليلاً يستدلّ به المستدلّ على جواز استعمال (س) في (ص). أمّا الزعم بأن (س) من معانيه (ص) دون دليلٍ من كلام العرب فهو كذبٌ.


Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

استعمل العرب اللفظ لأكثر من معنى، ولا جدال، لكن هل يجوز لمُدعٍ أن يدّعي أن هذا اللفظ استعملته العرب للدلالة على معنى معين من غير حجة أو بيّنة؟ إنّ خلاصة ما استعملوا أدنى به هو كما ورد الإمام اللغويّ الزبيدى. في كتابه تاج العروس«ويُعبّر بـ»الأدنى» تارة عن الأصغر فيقابل الأكبر، وتارة عن الأرذل فيقابل بالخير، وتارة عن الأول فيقابل بالأخِر، وتارة عن الأقرب فيقابل بالأقصى (دنو).«(سبق ذكر المصدر)

باب الدلالة باب توقيفيٌّ سماعيٌّ، لا مدخل للقياس فيه، وليس مع الذي يدّعي أن معنى ما هو من معاني لفظةٍ ما ولا يأتي على ذلك بسماع من كلامهم إلا الدعوى المجردة، ولا ينفعه قياسٌ ولا غيره، وهو إذا دُعي قياسًا إنما يقيس لسانهم على لسانه المحدث المولّد، فإمّا يثبت عن كلام العرب استعمال اللفظ بإزاء المعنى المعين وإما لا يثبت وما وراء ذلك إلّا الخرص والمين، وما من أحدٍ أثبت القياس طريقًا لتعيين الدلالات.

ورأينا أنه ما من نصٍّ جاء به الإعجازيّون إلّا ودلالة «أدنى» فيه على «أقرب» أو «أقل» أظهر من دلالتها على «أخفض»، ومادامت الدلالة المحفوظة في الكتاب والسنة والشعر العربي ظاهرةٌ في ما أتوا به فلا يصلح ما أتوا به دليلاً على الدلالة المزعومة «أخفض».. ولا يصلح دليلاً على الدلالة المزعومة إلا النص الخالي من المعارضة الذي لا تظهر فيه الدلالات الثابتة المتفق عليها.

*فإنه إذًا لتحدٍّ مبين، لمن شاء من الإعجازيّين، أن يحسم الجدل بيننا إلى غير رجعةٍ، بأن يأتينا من محكم كلام العرب بالكلمة «أدنى» بمعنى «أخفض» أو «أسفل» لا شبهة لـ«أقرب» فيها، من «طول» و«ارتفاع» لا شبهة لـ«قيمة» فيهما، وصفًا لمكانٍ ماديٍّ صرف لا شبهةَ لمكانة معنوية فيه، ثلاثة شروط يعنى الأول منها أن يختلّ معنى الجملة التى سيأتونا بها اختلالاً واضحاً إذا نزعنا من سياقها «أدنى» ووضعنا في محل ذلك «أقرب»، ويظهر هذا صعب التحقق لما يبدو من أنه يمكن دومًا التأوّل أن في الكلام بعد «أقرب» إضمار لـ «أقرب مما هو تحت»، ولكن هم ما زال بإمكانهم أن يظهروا لنا كثرة إضمار «مما تحت» بعد «أدنى» يثبتون بذلك تواضع العرب على معنى الخفض في أدنى، وذلك في الواقع هو حال أدنى مع المعنويات، لكننا لم نر أيًّا من كلام العرب الذي أتوا به تحقيقًا لذلك مع تحقق الشرطين الآخرين، أي مع اقتران أدنى بالماديّات.

*يستشهد بعضهم أيضًا باقتباس «القاموس المحيط» « والأدْنَيانِ: وادِيانِ» يريدون بذلك التدليل على معنى الانخفاض في «أدنى» لأنّ الوادي أرض سهلةٌ بين جبلين مرتفعين. وهذا باطلٌ وتدليس جاهلٍ باللغة، إذ أن «القاموس» لم يقل «والأدْنَيانِ: الوادِيانِ« (بتعريف «الواديان») لكي يُفهم منها أن «الأدْنَى: الواديِ« على عمومها، بل جعلها «واديان»، نكرة بما يفيد الخصوص، وعليه لا يجوز الاستنتاج من مقالة القاموس هذه أن العرب كانوا يُطلقون على الوادى لفظ «أدنى» ولا على الواديان «الأدنيان». بل إن المقصود هو واديين معينين «أدنيين» أي «أقربين» (لبعضهما أو لمكان ما مُضمر). وليس اللفظ لأى وادٍ أو واديين.



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

*ويستشهد هؤلاء القوم أيضًا بآية ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيم ﴾ ويقولون أن في استعمال «يدنين» بمعنى «يرخين» دليلًا على معنى الخفض في «أدنى». يتحدثون وكأنّ الحرائر كنّ يكشفن أقدامهن فنزلت الآية بخفض الأثواب إلى الأسفل، وهذا سخيفٌ، بل كنّ في الحقيقة يكشفن وجوههنّ وشعورهنّ أعلى ما في أجسادهنّ. قال الإمام النحوي المفسّر أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط] 240/7 [«(من) في (جلابيبهنّ) للتبعيض، و(عليهن) شاملٌ لجميع أجسادهنّ، أو (عليهن) على وجوههن؛ لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه»، وانظر لما قال المفسر الزمخشري في تفسيره الكشاف] 274/3[«ومعنى (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ): يرخينها عليهن، ويغطّين بها وجوههنّ وأعطافهنّ، يقال: إذا «نزل» الثوب عن وجه المرأة: «أدني» ثوبك على وجهك» فلاحظ أنّ الإدناء هنا يقابل النزول والمعنى، في هذه الحالة، للسخرية، أقرب إلى الرفع منه للخفض.

*إن لبّ معنى «الإدناء» هو «التقريب»، وليست شبهة «الخفض» فيه إلا نتاجًا لكون التقريب قد يكون أحيانًا، من بين كل الجهات، إلى أسفل. فإن كان أحدهم يناولك شيئًا من علٍ، فعندئذٍ يكون قولك له «أدنه» أو «قرّبه» مرادفٌ لـ «اخفضه»، وهذا ما سبّب تحريف المعنى على لساننا الحديث لتتساوى «أدنى» مع «أخفض» فأنتج هذه الخزعبلات الإعجازية، وأحسب أن التحوّل وجد الدافع من ولع العرب بالسجع، لتتقفى «أدنى» مع «أعلى». تحول مشابه كان قد طرأ في القديم لكلمة «تعال» وكانت في الأصل تقال ممن في الأعلى لمن يقف في الأسفل بمعنى «ارتفع» أو «اقترب مرتفعًا» ثم آلت بعد ذلك إلى «اقترب» فقط مجردةً من الاتجاه، يجوز أن تُقال ممن في الأسفل لمن في الأعلى على نقيض أصلها. وهو معكوس التغيير الذي طرأ على كلمة «تَدَنَّى» فبعد أن كانت تعني «اقترب» مجردة عن الاتجاه، آلت (في اللسان المحدث الذي لا يلزم القرآن) لأن تعني «انخفض» أو «اقترب منخفضاً» في أغلب استعمالاتها.

*وبالرجوع إلى الآية الأخيرة التي أدخلها الإعجازيون إلى الجدل، نجد أن «يدنين عليهن» ترادفت مع «يرخين» والإرخاء فيه خفض، وأراد الإعجازيون بذلك إثبات الخفض للإدناء عمومًا. وهذا باطل، فحال مشتقات «الإدناء» مقرونةً بحرف الجر لا ينعكس على مشتقات «الإدناء» المجردة من حروف الجر والتي لا تفيد غير التقريب، إنما كان التقريب هنا إلى أسفل بفعل حرف الجر «على» والذي يفيد الاستعلاء والفوقيّة، فخصّص التقريب المطلق في أي اتجاهٍ إلى التقريب من أعلى لأسفل تحديدًا. وفي ذلك قال العلامة المودودي في تفسيره لسورة الأحزاب « الجلباب في اللغة العربية: الملحفة والملاءة واللباس الواسع والإدناء يعني: التقريب واللفّ، **فإن أضيف إليه حرف الجر [على] **قُصد به الإرخاء والإسدال من فوق «وفيه قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري «والإدناء لا يطلق على لبس الثياب، ثم إنه لا يتعدى بعلى، بل يتعدى باللام، ومِن، وإلى، فتعديه هنا بعلى لتضمينه معنى فعل «آخر»، وهو الإرخاء»



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

إن تحقيق الدلالات ومنع التألي على العرب والكذب عليهم بأنهم أرادوا باللفظة معنى ما من غير برهانٍ من كلام العرب مسألةٌ ذات أهميةٍ لا نزاع فيها، وهذا ظاهرٌ من تصرفات أهل العلم وطلبهم النصّ السماعي لإثبات عربية الكلمة.

وأي طالب علم مبتديء يقرأ كتب الأمالي والمجالس وأوائل كتب العربية يتضح له ذلك بيّنًا، وعلماء العربية كان لهم حزمٌ تامٌّ في مسألة طلب النص السماعي لإثبات عربية الكلمة أما هذا الذي يقال هنا عن التقارب المعنوي والقياس فكلامٌ عاميٌّ صحافيٌّ لا وزن له في العلم ولا أثر أعلمه له في كلام محققي العربية الأولين، ومن وجد فليُتحفنا. انتهى الاقتباس وتمّ التفنيد[1].

أمّا تفنيد الافتراض الثاني القائل بأنّ موقع انتصار الفرس على الروم كان في سواحل البحر الميت، فهو تحقيقٌ جيولوجي-تاريخيّ، يُعنى بإثبات حدود المنخفض الأعمق على الأرض، منخفض البحر الميت، ثم إثبات/تفنيد وقوع الحرب فيه. فأما حدود تلك البقعة الأخفض فمظللةٌ بالأحمر في الرسم، بيّنة المعالم في الخارطة المجاورة، وذلك لشدة انحدارها، ولحدودها الجبلية التي ترتفع آلافًا من الأقدام فوق سطح البحر بينما تنخفض هي ألفًا أو يزيد إلى الأسفل[2].





يحيط المنخفض بالبحر الميت وبحر الجليل وبأجزاءٍ من نهر الأردن، والخط الممتد على شاطئ البحر الميت منه هو أخفض بقاع الأرض. لكن، أنّى يمكننا القول، مع افتراض حدوث معركةٍ في مكانٍ ما من أراضي المنخفض الممتدة، أنّ المعركة قد حدثت في أدنى الأرض؟ هل تصحّ الصفة لجميع المنخفض؟ أم لجوار البحر الميت منه فقط؟



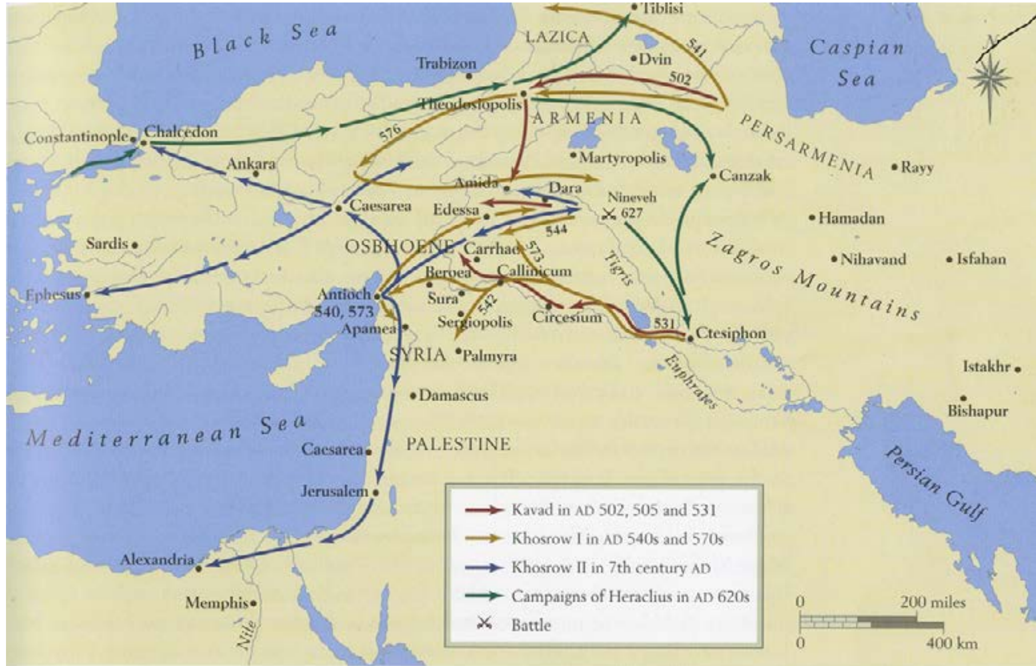
Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

وهل تصح هناك عند الجليل ومنطقة البحر الميت الأشدّ انخفاضًا منها؟ أأنت هناك في أخفض مكانٍ على سطح الأرض؟ أم هل تصحّ الصفة فقط ما دمنا لم نرتفع عن عمق ثاني أشد المنخفضات ارتفاعًا بعد هذا؟

سؤال صعب الحسم! لكن ثمّة سؤالٌ آخر أسهل في القطع به؛ هل نعتبر أنّ الحرب قد وقعت في هذا المنخفض، إن نشبت فيه اشتباكات، أم أنّ مدار الآيات كان على المعارك الفاصلة؟ لا يبدو أن مسلمًا، ولو كان إعجازيًّا، سيرى أنه يليق بالقرآن تجاهل الحوادث الفاصلة والمعارك الكبرى لصالح ذكر اشتباكاتٍ هامشيّةٍ في معرض حديثه الوحيد عن تلك الحروب، وكأن الله كان يتكلف الإعجاز تكلفًا حدّ الإضرار ببلاغة الآية ومعقوليتها.

لكن، في النهاية، لا أهمية لكل تلك الأسئلة أصلاً، إذ لم تحدث حربٌ قطّ بين الفرس والروم في أيٍّ من جوانب ذلك المنخفض فيما ذكرت كتب التاريخ(9:16).



فكما نرى في خريطة المعارك هذه، قد غلب الفرس الروم ثم غلبهم الروم في معارك وقعت بأسرها في الشمال البعيد في سورية وتركيا الحاليتين.

ولا يظهر قرب منخفضنا العزيز غير معارك إسقاط أورشليم، وهي مدينةٌ على ارتفاعٍ يتجاوز ألفي قدم فوق مستوى سطح البحر[3]، فلا صلة لها البتة بأي حديث عن منخفضات الأرض، إن لم تكن من مرتفعاتها.

وقد كانت أقرب معركةٍ فاصلةٍ للفرس قبل حصار أورشليم هي معركة «أنطاكية» في الشمال السوري كما يبيّن الرسم.

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤



Matheos Harison

و يظهر أنّه لو وقعت في منخفض البحر الميّت معارك ذات أهميةٍّ لذكرتها كتب التاريخ، فلا يبدو افتراضًا معقولاً القول بأنّهم تواطؤوا في السكوت عن معارك بعينها نكايةً في إعجاز القرآن غير المعروف حينها. وتباعًا، فعلى الإعجازيين الآن توضيح موقفهم من هذه المعضلة التاريخية.

لأنهم إن لم يأتونا من محكم التاريخ بذكر لمعارك فاصلةٍ في المنخفض الميت، وليس بمجرد قولهم بأفواههم أنه «لابد» قد حدثت معارك هناك، فإنهم بهذا التلاعب بالمعاني يضعون القرآن على حافة الخطأ والكذب. بأيديهم وما كانوا مُجبرين.

وأما تفنيد الافتراض الثالث، القائل أنه من المستحيل أن يصف القرآن، في ذلك العصر ما قبل العلمي، سواحل البحر الميت بأنها أخفض الأرض دون وحيٍ من الله، فتحقيقٌ جغرافيٌ-تاريخيٌّ، نستلهم إجابته من «كنعان» . وكنعان هي منطقة تاريخيةٌ ساميّة اللغة في الشرق الأدنى القديم تشمل ما يعرف اليوم بفلسطين ولبنان والأجزاء الغربية من الأردن وسورية، و «كنْعان» لغويًّا :اسم علمٍ مذكر من السامية القديمة، والاسم في التوراة بكسر الكاف، ومعنى الاسم: الأرض المنخفضة. من الجذر «كنع» بمعنى «خفض» وبالتالي فـ «الكنعانيون» هم سكان الأراضي المنخفضة، وذلك بعكس الآراميين الذين تعود تسميتهم إلى الجزر «رم» بمعنى مرتفع.[4]

فجغرافيًّا، يطلق اسم كنعان تحديدًا على منخفض البحر الميت وما يحيط به، تأمّل فقط التطابق التام بين المنخفض الممتد من الجنوب بين فلسطين والأردن إلى الشمال بين لبنان وسورية، وبين تسمية كنعان التي تعود على فلسطين ولبنان (أي غربي المنخفض) والأجزاء الغربية من الأردن وسورية (أي شرقي المنخفض). وكأن هذا ما أريد به سوى ذاك.

وتحسم اللغويات الأمر. نعم، «كنعان» قُصد بها المنخفض بعينه، فالكلمة أصلاً في لغة أهلها تعني «المنخفض» ، وكنتيجةً لهذا الاكتشاف فإنه إن تجاوزنا كل المشاكل السابقة، وقطَّعنا الميت على مقاس التابوت، وفرضنا أن «أدنى» تعني «أخفض» وإن تواطأت المعاجم على الكذب، وأن المعارك وقعت في المنخفض الميت وإن تواطأ المؤرخون على التدليس، فإن الأمر لن يصبح معجزةً كما توّهم البعض، بل لن يتعدّى ترجمةً لاسم منطقة «كنعان» في لغة أهلها. وهي لغة سامية من بنات عم العربية.
فأي إعجازٍ في الترجمة ؟![5]

اعتراض واضحٌ سيبرز بخصوص فجوةٍ في التطابق اللغوي بين « كنعان» و «أدنى الأرض» (على المعنى الذي انفرد به الإعجازيون «أخفض الأرض»). مشيرًا أن «أدنى» هو اسم تفضيلٍ يفيد أن المنخفض لا ينازعه منخفضٌ آخر في شدة العمق، بينما لا تجد ذلك في معنى «كنعان» (الأرض المنخفضة) فهو لا يتضمن تفضيلاً، والتفضيل هنا هو لبّ الإعجاز.


Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

يزول هذا الاعتراض في حال أثبتنا أنّ «كنعان» في الكنعانية يمكن أن يكون اسم تفضيل، أو أن «أدنى الأرض» في العربية ليست بالضرورة تفضيلاً. فأما الأولى فلا نعلمها ولا نعوّل عليها ولم نتحرّها ولا سابق لنا بمعرفتها، وأما الثانية فهي من المعلوم من اللغة بالضرورة، ذلك أن الصفة على وزن «أفعل» لا تكون حصرًا للتفضيل وإنما قد تكون لمجرّد الوصف من فعلها، ويقال حينئذٍ أنّ «أفعل ليست على بابها» ، وذلك غير ممكنٍ إلا في حالاتٍ، منها أن تكون مضافةً إلى معرفة، وتلك هي حالة «أدنى الأرض» . وبذا تكون «أدنى الأرض» بمعنى الأرض الدانية فقط (المنخفضة على حسب الإعجازيين).

ولو أراد القرآن القطع بها لقال «أدنى أرض» وحالة الإضافة إلى نكرةٍ لا يمكن إلا أن تكون معها ‹أفعل› على بابها، أي للتفضيل حصراً، ولكنه لم يفعل، لحكمة لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم.(6)

ويمكن إن سلمنا بأن «أدنى» تعني «أخفض» ، لكن رفضنا الادّعاء الأهوائي القائل بحدوث معارك في المنخفض الميت، أن نعتبر «أدنى الأرض» ترجمةً لـكلمة «كنعان» وعندئذ تصبح الآيات سليمةً من الوجهة التاريخية، لأن بعض المعارك بفاصلها وهامشيّها قد وقعت في كنعان فعلاً. لكن لا يفيد ذلك أهل الإعجاز اللغوي في شيءٍ. أولاً لأن إدّعاءهم بأن «أدنى» هي «أخفض» ليس ادّعاءً سليمًا ناهيك عن كونه ادّعاءً قويًّا يليق بمعجزة ينبغي أن تظل أعناقنا خاضةً لها.

وثانيًا لأنه لو سلّمنا بذلك، فأين ما يستعصي على البشر هنا لكي نعزوه إلى قوى فوق بشرية؟ أفمعرفة معنى كنعان في لغة الكنعانيين أمرٌ خارقٌ للعادة عندكم؟
معاييركم في المعجزات بحاجة لقليلٍ من السموّ.

حلٌّ آخر يأتي من حقيقةٍ مفادها أنه طالما كانت منخفضات كنعان هي أعمق منخفضات العالم وأنّ أهلها لاحظوا ذلك الانخفاض لدرجة أنهم تسمّوا به. فلا ريب أن قاطنيها لاحظوا أيضًا أنها الأخفض في كل المحيط المعروف لديهم لا ينازعها في الإنخفاض منازع. وعندئذ لا يبعد أنهم لا يستغربون نعتها «أخفض أرض» . بل لا تعني «أخفض أرض» في أذهانهم سواها. ولا يبعد أنهم نطقوا بذلك وتعارفوا عليه لا حاجة لهم في ذلك إلى وحي من السماء. كشأن أطول براكين الأرض امتداداً، ذلك الواقع في جزر هاواي الأمريكية، إذ يعرف في لغة أهله باسم البركان المديد **maunaloa** وذلك منذ القدم، لا يستبعد بل لا بد أنهم أشاروا إليه بأنه البركان الأمدد وذلك لأنه الأمدد في محيطهم. ولا ريب أن خروج لفظةٍ كهذه من أفواههم لا تستدعي خوارق للطبيعة،
بل هي من لوازم أثر الانحياز (أو الاصطفاء) الإحصائي (selection effect or bias.[7]

لو أراد الله أن يضع معجزاتٍ ذات قيمة لذكر لنا أسرارًا بقيعان المحيطات ومنقطعات الأرض، لكنّ القرآن لم يعرف غير بيئة محمد عندما تعلق الأمر بالتأمل في الطبيعة أو بالقصص التاريخي.


Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

تفنيد الشبهتين الثانية والثالثة: نبوءة نصر الروم وفرح المؤمنين بنصر الله:

مثلما تضارب أهل الإعجاز الجيولوجي مع أهل الإعجاز اللغوي في دلالة أدنى الأرض، فقد تضارب هؤلاء القوم أيضًا حول إعجاز النبوءة بنصر الروم وكذّب بعضهم بعضًا، كفى الله الملحدين شر القتال. ووجب، إذ نوغل في خضم الجدل حول تلك المعجزة المزعومة، أن نوغل برفقٍ لأننا سنجد اضطرابًا كبيرًا في كل أجنحتها؛ إذ تتشعّب تحاليل الأحداث المرتبطة بهذه النبوءة وتتداخل،

فمتى وأين، مثلاً، كانت المعركة المقصودة التي غلب فيها الفرس الروم؟!

ومتى وأين كانت المعركة التي قد غلب فيها الروم الفرس وتحقق بها الوعد؟

يصعب تحديد ذلك لعدم وجود معركة بيّنةٍ واحدةٍ لصالح الفرس أو الروم، فقد شهدت هذه الحرب كرًّا وفرًا لا ينتهي بين 611م و 628م، فتارةً تكون الغلبة لهؤلاء وتارةً للآخرين. ومتى يبدأ احتساب البضع سنين ومن أيّ الموعدين، من المقصود في القرآن من هزيمة الفرس للروم، أم من موعد نزول الآيات؟! على حسب إجابات تلك الأسئلة يتحدّد مدى تحقق النبوءة، وأيٍّ المواطن الإسلامية تزامنت مع ذلك التحقق. ولم يجتمع أهل الإعجاز على رأيٍ واحدٍ في أي من هذه الأمور.

فقد ثار هرقل عام 610م (سنة البعثة) وقتل سلفه فوكاس ونصّب نفسه إمبراطورًا لبيزنطة، وشرع من فوره بتجهيز حملةٍ مضادةٍ لردّ هجوم الفرس على البلاد، فخرج لهم والتحم بجيوش الساسانيّين بقيادة شهرباز خارج أنطاكية سنة 613م وانتهت المعركة بانهزامه هزيمةً فادحةً لكنها لم ترده على أعقابه إلى القسطنطينية بل مضى ململماً أشلاءه وجامعاً شتات ما تبقى من جيشه إلى سورية، حتى أتاه شهرباز واشتبك معه هناك فانهزم هرقل تارة أخرى وفر، بينما حاصر شهرباز دمشق وأخذها وأسر عدداً كبيراً من القوات البيزنطية ممن كانوا فيها. وعاد هرقل إلى القسطنطينية وقبع هناك، بينما تقدم شهرباز إلى فلسطين وحاصر أورشليم حصارًا دمويًا حتى أسقطها عام 614م واستولى بذلك على صليب الصلبوت ودخل الأراضي المقدسة منتصرًا انتصارًا صدم العالم المسيحي ورجه رجًّا واعتبر المسيحيون ذلك علامة على غضب الرب ونقمة السماء ونذيراً بفناء العالم. بعد ذلك استمرت انتصارات أخرى للفرس بقيادة شاهين 615م-616م في الأناضول حتى سقطت خليقدون، أدنى مدن الروم من بيزنطة 617م، وألجأت تلك الهزيمة الروم إلى أسوار القسطنطينية، متحصنين فيها كملاذٍ أخيرٍ، وفورًا بدأ الفرس في محاولة اقتحامها للقضاء التام على جيوش هرقل، ولطيّ الصفحة الأخيرة في كتاب الامبراطورية البيزنطية. ولكن الفرس لم يكتفوا بهذه الجبهة، ذلك أن تقدم شهرباز نحو مصر 618م وهزم حاميتها وتوغّل فيها حتى سقطت الاسكندرية في يده 619م، وبذلك استسلمت كافة أراضي الإمبراطورية الرومانية للفرس. وأرسل خسرو الثاني رسالة ملؤها التكبر والاستعلاء إلى هرقل واصفًا إياه بالعبد الذليل، وآمرًا إياه بتسليم نفسه إلى الإله الحقيقي كسرى(أي خسرو نفسه)، وأن يدعه من إلهه الضعيف، ذلك المسيح الذي لم يستطع حتى حماية نفسه من اليهود.



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

بدأ هرقل بعد هذه السلسلة من الهزائم في الاستعداد للحرب اليائسة الأخيرة، التي إما أن يعيش بعدها أو ينقرض ومملكته إلى غير رجعةٍ؛ فطبع عملة أخف وزنًا، ونصّف الأجور، وضاعف الضرائب، وأذاب ذهب الكنائس والقصور، وسخّر موارد البلاد بأكملها ووجّه شعبه جميعًا نحو هدف واحدٍ فقط هو تجهيز الجيش وإعادة إحيائه وإمداده بالعدد والعتاد. ولم ينس هرقل العامل المعنوي، فرغم خلافه مع الكنيسة نتيجة إصراره على الزواج من ابنة أخته، الحسناء الغنوج مارتينا التي أسرت لبه، والتي تزوجها رغمًا عن أنف الكنيسة وأولدها تسعة بنين وبنات، إلا أنه نسي الخلاف مع الكنيسة ونسيت الكنيسة الخلاف معه، فعند المصالح لابد من التصالح، وكانت المصيبة تقتضي أن يتعاونوا فيعيشوا معًا أو أن يتعادوا فيموتوا معًا، ويبدو أن هرقل والكنيسة آثرا الاختيار الأول.

فخرج في أول حرب صليبية عرفها التاريخ، يرتدي المسوح ويرفع صورة مقدسة للعذراء ، تهلل له أجراس الكنائس وتدوي من خلفه صلوات وترانيم، تدعو له بالنصر على الفرس المجوس، واستعادة المدينة المقدسة أورشليم، واسترداد عود الصليب الذي استلبه المجوس يوم أن أخذوا القدس ، خرج هرقل من القسطنطينية في 622/4/4م وانتصر على الفرس في معركة إسوس في نهاية ذلك العام، وحرر الأناضول من الفرس لكنه اضطر للعودة سريعاً إلى بيزنطة لحمايتها من هجوم للآفاريين والعبيد، الذين احتلوا مساحاتٍ واسعة من الامبراطورية حتى اقتربوا من أسوار بيزنطة من الجانب الأوروبي، ولأن هرقل لم يكن يستطيع الإنشغال بحربهم وإلا حصره الفرس من الخلف، فقد طلب معاهدتهم على أن يدفع لهم الجزية في مقابل أن ينسحبوا من شمال الدانوب، فطلب خاقانهم أن يأتي إليه هرقل بنفسه في 5 يونيو 623م ووافق هرقل وتوجه إليه، ولكن الخاقان خانه وأعد له فرسانًا كمنوا في الطريق ليقتلوه، بيد أن هرقل انتبه لذلك وهرب في الوقت المناسب، فلم يتركوه وظلوا يطاردونه حتى أسوار بيزنطة، وقتلوا أغلب من جاء معه، وذبحوا عشرات الآلاف من الفلاحين الذين خرجوا لمشاهدة الإمبراطور، ورغم تلك الخيانة العظمى إلا أن هرقل كان مضطرًّا لدفع الجزية للخاقان مقابل الانسحاب من شمال الدانوب والكفّ عن بيزنطة، حتّى يتفرّغ للفرس.

خرج هرقل من القسطنطينية في 624/3/25م (غزوة بدر كانت في 624/3/13م)(8) وتوجه أولاً نحو كيسارية وحررها، ثم عبر أرمينيا، وبمساعدة حلفائه من العرب هزم جيوش الفرس في جزنق، وهدم معبد النار المجوسي «تخت سليمان» ، وتوغّل في أذربيجان حتى أتورباتكان. وقد قضى هرقل الشتاء في ألبانيا القوقازية مستريحًا ومجمّعًا لقواته، فأرسل إليه كسرى ثلاثة جيوشٍ مباغتةٍ لحصاره من الجهات الثلاثة والقضاء عليه، لكن بفضل مخادعات بعض الجنود الذين زعموا أنهم خانوا هرقل، تمكن هرقل من هزم جيشين منهما في تغرانكيرت، ثم باغت في فبراير 625م المعسكر الرئيسي الذي ضمّ بقايا الجيوش الثلاثة وأعمل الذبح فيمن فيه حتى لم يبق أحدٌ ممن قدر عليه منهم.

وتقدّم هرقل بعدها حتى الفرات والتقى مع جيشٍ فارسيٍّ ضخمٍ متوجّهٍ نحو القسطنطينية بقيادة شهرباراز، وانتصر عليه في معركة ساروس انتصارًا ضعيفًا لم يؤثر على الجيش الفارسي الذي تابع التقدّم نحو القسطنطينية.

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤



Matheos Harison

بعدما وصلت أفعال هرقلٍ كسرى، رأى أنه لا بدّ من الهجوم الكامل على الرومان لإنهاء انتفاضتهم المفاجئة وكسر شوكتهم إلى الأبد، فكوّن جيشًا من كل الرجال الموجودين عنده من الفرس وغيرهم، وقسم جيشه قسمين، بقي قسمٌ تحت قيادة شاهين في فارس ليصدّ عنها أيّ هجماتٍ محتملةٍ لهرقل، وتوجّه قسمٌ بقيادة شهرابارازلخلقدون ليشن حصارًا على القسطنطينية من الجهة الآسيوية، منسقًّا مع الآفار لحصارها في نفس الوقت من الجهة الأوروبية. أما هرقل، ففور سماعه بذلك، أرسل تعزيزات للقسطنطينية، وجيشًا بقيادة أخيه ثيودور ليناجز شاهين في العراق، وأبقى معه جيشًا لكي يحرّكه نحو قلب فارس حال انتهاء الحصار. وبفعل قوة الأسطول البيزنطي ومهارة حامية القسطنطينية تمّ إفشال كل محاولات إقتحام الآفار من الجهة الأوربية، وفور ورود أنباءٍ عن انتصار ثيودور على جيوش شاهين فرّ الآفار بغير رجعةٍ. وقطع الرومان طريق رسائل كسرى التي تأمر قيادة الجيش الخلقدوني بقتل شهرباز، وأراها هرقل لشهرباز فقرّر اعتزال الحرب بجيشه، وصار كسرى الآن وحيدًا بلا جيشٍ يحميه، ففرّ إلى الجبال.

في أوائل 627م خرج هرقل بجيشه ليهاجم قلب فارس، لم يتعرّض لمقاومةٍ إلا من جيشٍ فارسيٍّ وحيدٍ تبعه بقيادة الأرميني شاهزاد، وأسرع هرقل السير في طريقة آتيًا على كل ما يلقاه فيه من الأخضر واليابس حتى لا تبقى مؤونةٌ للجيش الفارسي المطارِد، وظل يطوي الأرض طيًّا حتى ما إن أحسّ بإرهاق جنود الفرس التفّ لهم بجوار خرائب نينوى في وسط الضباب وانتصر عليهم في ديسمبر627م. ثم مضي ودخل فارس ظافرًا، واستولى على كنوز مدينة دَسْتَغْرِد، واستردّ ثلاثمائة رايةٍ رومانيةٍ كانت أسرتها جنود فارس، كل ذلك عام 628م. لكن هرقل لم يدخل عاصمة فارس «قطيسفون» ولم يكن بإمكانه الدخول لتحطّم جسر النهروان. ثمّ بعث برسالةٍ يعد فيها بالكفّ عن فارس والعودة لبلاده إن قبل كسرى ذلك في مقابل العودة للحدود القديمة، وكان في ذلك الوقت أن قتل قباذ-ابن كسرى- كسرى أباه، واعتلى العرش ووافق على المعاهدة التي شملت إرجاع الصليب الحقيقي وسائر الأراضي المقدسة لعهدة بيزنطة، ووضعت الحرب الدموية أوزارها وقد صارت الإمبراطوريتان المنهكتان كومتين من الخراب والدمار.

لم تكن الطبيعة رحيمةً بالشيخين العجوزين قبل و بعد كل ذلك، فقد كانت هذه الحروب الفرس- رومية مشتعلةً بالتزامن مع طاعون جستنيان الذي استمرّ قرابة قرنين من الزمن، لا يختفي حينًا إلا لكي يعود مرة أخرى، وقد ظلّ ينهش الرومان حتى قضى على أكثر من ثلث السكان، أي واحدًا من كل ثلاثةٍ من مواطني الإمبراطورية البيزنطية وعلى الأخصّ منهم أهل القسطنطينية، ناهيك بالآلاف المؤلفة الذين سرقت حياتهم الحرب. ولم تنته قسوة الطبيعة عند هذا الحد، فقد برزت إليهم بعد سنواتٍ قليلةٍ جيوش الدولة العربية الفتيّة، مشتعلين بحماسة دينهم الحربيّ الجديد، فلم تقف أمامهم العظام النخرة المتبقية من الإمبراطوريتين المترنحتين الحرب والمرض كثيرًا، حتى سحقهم المسلمون سحقًا وأكلوهم أكلاً وقضوا على الإمبراطورية الفارسية نهائيًا. وظلّوا يضربون الإمبراطورية البيزنطية الضربات واحدةً تلو الأخرى حتى قضوا عليها تمامًا وابتلعوها هي الأخرى. وإن كانت هاتان الحضارتان قد نهضتا بعد ذلك مرة أخرى من تحت الرماد، ولكن متسربلتين بالزي الإسلامي هذه المرة. فكانت دول الخلافة الإسلامية ثلاث، الأولى عربية وهي الأموية، والثانية فارسية وهي العباسية، والثالثة بيزنطية وهي العثمانية*.(9)(10)(11)(12)(13)(14)(15)(16).



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

كان ذلك ملخص الحرب الفرس- رومية المأساوية، ولكن بقيت أسئلةٌ كثيرةٌ في انتظار إجاباتها لإرساء جوانب دعوى الإعجاز. فمتى نزل مطلع سورة الروم؟ وأيّ المعارك قصدتها الآيات؟ وبالتالي ماهي «أدنى الأرض» ؟ أهي أخفض الأرض أم كنعان أم أقرب الأرض؟ وإن كانت أقرب الأرض، فأقرب الأرض إلى ماذا؟ أإلى فارس أم إلى الروم أم إلى العرب؟ ما هو «البضع» ؟ هل هو من الثلاثة إلى التسعة؟أم من فوق اثنين إلى دون العشرة؟ ومنذ متى يتم احتساب البضع سنين؟ أمن وقت نزول السورة؟ أم من وقت انتصار الفرس على الروم؟ ثم كم مضى من البضع عندما تحقق الوعد؟ وبالتالي أيّ المعارك التي انتصر فيها الروم كانت المقصودة بالوعد؟ وما هي المناسبة الإسلامية التي تصادفت مع هذا النصر الرومي؟ وهل فرحة المؤمنين تكون بانتصار الروم أم بانتصارهم هم بالتزامن مع انتصار الروم أم انتصارهم المتزامن مع يوم ورود الأنباء بانتصار الروم؟ وهل تُحتسب فترة البضع إلى يوم نصر الروم نفسه أم إلى يوم وصول خبره؟أصبتم بالدوار؟..

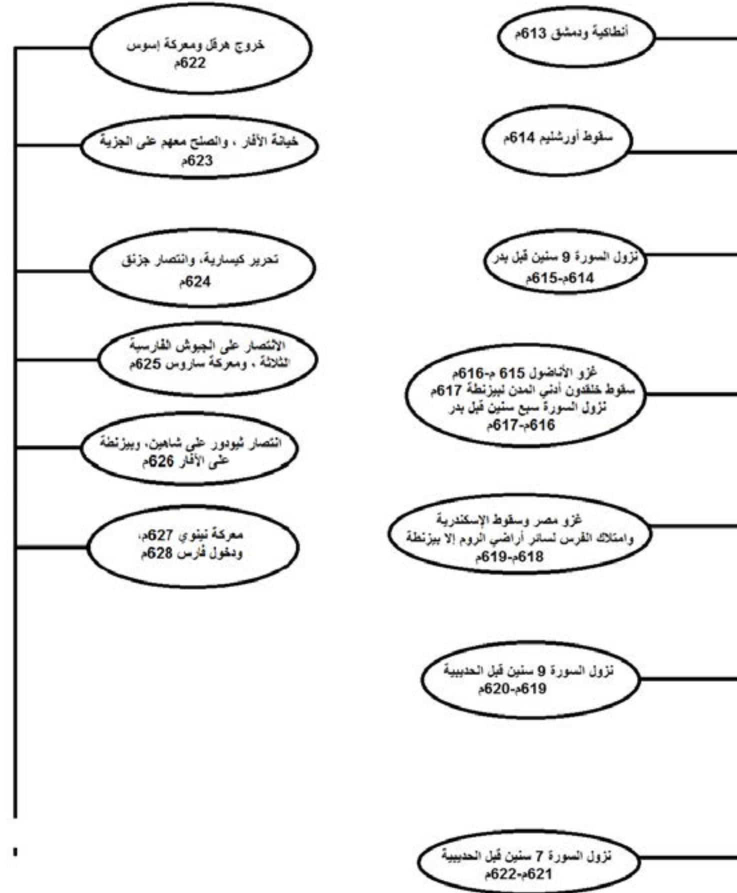
إذاً أهلاً بكم في التراث الإسلامي، حيث تبدو لمسة العناية الإلهية في أجلى الصور. ولكن بدلاً من اليأس ثقوا معنا أنّ في الكومة من الأسئلة تختبئ معجزةٌ لا يشكّ فيها إلّا جاحدٌ، هي فقط تراوغ الذين كفروا وصدّوا عن سبييل الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم، بينما يراها جليّةً الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم قليلٌ.

في حقيقة الأمر، إنّ وجود كلّ هذه المتغيرات ينتج عددًا ضخمًا من الاحتمالات المختلفة التي لا يقوى على نمذجتها الدماغ البشريّ، وهذا دليلٌ جديدٌ آخر على أنّ هذه المعجزة «إلهية» تمامًا، إذ يبدو أنّ الله وحده هو القادر على إدراكها من جميع الجوانب. حسنًا، لنساعد أذهانكم، البشرية القاصرة، قليلاً، رسمنا خارطةً زمنيّةً لما يمكن، طبقًا للآثار الإسلامية، أن يُحتسب كموعدٍ لهزيمة الروم، وما يمكن أن يُحتسب كموعدٍ لهزيمة الفرس. وكما قد تلاحظون من أول نظرةٍ، فكلّ السنوات التي قد تروق لكم يمكن أن تُحتسب كبدايةٍ أو كنهايةٍ للمهلة. وأما عن سؤالكم: كيف نتجت هذه الفضفاضية المطلقة؟ فذلك لأن الآثار لم تحدّد بشكلٍ مباشرٍأبدًا السنة التي نزلت فيها السورة. وإنما حدّدت بعض الآثار المدة بين نزول السورة وتحقّق نبوءتها (واختلفت هذه الآثار بين إما 7 أو 9 سنوات) وآثار أخرى اختلفت حول الحدث الإسلامي الذي وافق تحقق النصر (فإما بدر وإما الحديبية)(17)، كما أن الفرصة مفتوحةٌ لأن تكون الآيات مشيرةً إلى معركة متزامنةٍ مع أو سابقةٍ على وقت نزولها. وحيث يمكن أن تبدأ فترة البضع سنين من وقت نزول الآيات أو من وقت المعركة التى تقصدها الآيات فبحساب ما ينتج من ذلك تكون كل السنين المكيّة صالحةً لكي تكون سنة بدء حساب مدة الانتظار. فكلّ سنةٍ مكيّةٍ يقابلها بحساب فترة البضع سنين عددٌ من السنوات المدنية (سواءً كان البضع يبدأ ب2 أو 3 وينتهي ب9 أو ما دون 10) ، وحيث كل السنوات المدنية (إلا 623م) حافلة بانتصارات للروم حتى نهاية الحرب بالانتصار النهائي للروم 628م، فإن كل السنوات المدنية حتى عام الحديبية(وهو628م نفسه) صالحة لتكون مدة النهاية.

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤



Matheos Harison



بما أنّ الزمان لا ينفصم عن المكان، فالمعضلة تصبح تلقائياً زمكانيّةً. ولا يقتصر الأمر على وجود آثارٍ مختلفةٍ لتحديد الزمان فقط، بل، وكما ينبغي أن نتوقع من التراث، توجد نظريات مختلفة لتحديد المكان أيضًا، أول تلك النظريات هي نظرية «أدنى الأرض = أخفض أرض» وهي تحدد المكان في عالمٍ موازٍ تكون فيه أورشليم أعمق بقعةٍ على سطح الكوكب، ولذلك فلا شأن لنا بهذه النظريّة، إذ ليس لنا دراية بأيٍّ من تجليات الوجود سوى بهذا العالم المسكين الوحيد. أما النظرية الثانية وهي «أدنى الأرض = كنعان» ورغم أنها تأتّت من معجم موازٍ أيضًا، إلا أن لها، بفرض صحتها جدلاً، نتيجة مفادها كون سقوط أورشليم هو أليق المعارك بسياق الآيات، أو هكذا قرر مروّجو تلك النظرية، بحجة أن أورشليم هي قلب كنعان.

ولا بأس إن انتهزنا الفرصة هنا لنجهز على الزعم القائل بالإعجاز التزامنيّ، أي بتنبؤ القرآن بتزامن نصر الروم مع فرح المؤمنين بنصر الله، لهم على قريش وليس للروم على الفرس، فأما أولئك الذين قالوا بأن ذلك النصر هو بدر معتمدين على الحديث (رواية آحاد، ظني الثبوت) ذلك الذي يروى ورود أنباء انتصار الروم في يوم تلك الغزوة.



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

فزعمهم باطل ببساطة لأن خروج هرقل من بيزنطة كان في الخامس والعشرين من مارس عام624م أي لاحقًا لغزوة بدر التي وقعت في الثالث عشر من مارس من نفس العام، ولا يمكن إذاً أن تكون انتصاراته ذلك العام قد سبقت أو تزامنت مع غزوة بدر. وإثر هذه الحقيقة قام فريق منهم بالتعسّف في التأويل، يقولون أن «يومئذٍ» تعنى يوم ورود أنباء النصر، نصر هرقل في إسوس 622م، ولا ندرى لماذا تراخى الخبر قرابة العامين في الطريق، ولماذا تقاعس جبريل على أن يأتي به من فوره! ولا ندرى أيضًا كيف يمكن لـ يومئذٍ أن تعنى يوم ورود أنباء نصر الروم لا يوم النصر نفسه.



التفسيرات البعيدة والروايات الظنيّة والخليط منهما لا تصلح للتأصيل لمعجزةٍ، إذ يُفترض بمقدمات المعجزة أن تكون مُلزمةً ومفحمةً لا منفذ لمُراءٍ فيها أو جدلٍ، كما أن القائلين بالتزامن بين نصر الروم والحديبية اعتمادًا على الآثار القائلة بورود أخبار نصر الروم في وقت ذلك الصلح فزعمهم باطلٌ ببساطةٍ لأنّ المسلمين في ذلك اليوم لم يفرحوا، وإنما كانوا في حالة حزنٍ عامٍّ ونقمةٍ واضحةٍ، لدرجة أنهم لم يأبهوا جميعًا ببعض تعليمات محمد رغم أنه كررها عليهم ثلاث مرات.[18]

النظرية الثالثة هي نظرية «أدنى الأرض = أقرب الأرض» وهي تنقسم إلى ثلاث نظرياتٍ فرعيةٍ على اعتبار قرب الأرض، فإن كانت تعنى أقرب للروم فإن لها نتيجةً مفادها أن سقوط خلقدون 617م (سبع سنين قبل بدر624م) هو أنسب المعارك ليكون الهزيمة المشار إليها، لأن خلقدون هي أدنى المدن البيزنطية من بيزنطة. وإن كانت تعني أقرب من أرض العرب فإن أقرب المعارك لأرض العرب كانت معركة سقوط أورشليم، وإن كانت تعني أقرب من أرض فارس فإن الأليق هي معارك إسقاط دمشق إلا أنها مازالت بعيدةً عن فارس. يبدو الأمر إلى الآن محبطًا، ويظهر أننا لن نتمكن أن نجد المقصود أبدًا بهذه الطريقة.

ولكن يوجد دليلٌ يمكن الاستعانة به لترجيح إحدى نتائج ذلك الجدل دون الغوص في متاهات الإسناد، إذ نستطيع الحصول على تحديدٍ أدقّ للحساب التقريبي لوقت نزول سورة الروم بين السور المكية وذلك بالاستعانة بترتيب نزول مطلعها، الذي هوالرابع والثمانون (84) من أصل ستّةٍ وثمانين (86)سورة، فواقع أنّها لم ينزل بعدها في مكة غير سورتين يُضعف وجهة نظر المستمسكين باستنتاج نزول سورة الروم قبل سبع (أو تسع) سنين من غزوة بدر لا من صلح



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

الحديبية، فوفقًا لهم، نزلت سورة الروم في السنة الخامسة أو السادسة قبل الهجرة، وبذلك تكون قد نزلت ثلاثة وثمانون سورة تقريبًا في الأربع أو الخمس سنوات الأولى من البعثة الفعلية** بمعدل ستة عشر(16) سورة في السنة تقريبًا بينما نزلت ثلاث(3) سور فقط في الست (6) سنواتٍ المتبقية، بمعدل نصف سورةٍ في السنة وهذا الاختلاف الكبير في التناسب غير معقولٍ.

أما إن اعتمدنا على الآثار التي تفيد حساب السبع سنواتٍ من صلح الحديبية، بالتالي تكون بذلك سورة الروم في العام المكي الأخير، وبقسمة كل السور المكية على 86 هو عدد السنوات المكية ينتج أن لكل سنة 8.6 سورة، فتكون بذلك سورة الروم في مكانها الطبيعي في السنة الأخيرة. وبذا يكون الراجح أن سورة الروم نزلت في العام الهجري الأخير، (حيث الهجرة في 622/7م) .[19]

لكن هذا الدليل ليس قاطعًا لأنه يفترض أن مطالع السور تنزل بمعدل ثابتٍ أو شبه ثابتٍ، ومن هنا يمكن الطعن فيه لو أثبت أحدهم تراكم نزول السور في بدايات الفترة المكية وشُحّها في النهايات. ويمكن أيضًا الطعن في هذا الاستدلال لأنه يعتمد ترتيب المطالع فقط، أي أن النظر في هذا العرض كان إلى مفتتح السور، فالسورة إذا نزلت من أوّلها بضع آيات، ثم نزلت أُخرى، وبعدها اكتملت الأُولى، كانت الأُولى متقدّمة على الثانية في ترتيب النزول حسب هذا المصطلح، وبالتالي يمكن إضعاف غرابة التراكم الشديد لنزول مفتتحات السور في بداية الفترة المكية، إذا كان ذلك لا يؤثر على معدل نزول متون السور نفسها، أي بإثبات أنّ مطالع السور نزلت بكثرةٍ في البداية ثم شحّت بعد ذلك وابتدأت متون السور في النزول بكثرةٍ. لكن كل هذا يبدو مستبعدًا. إذ سيكون من الغريب حقًّا لو نزلت كل مطالع السور المكية الثلاثة واالثمانين (83) في أول خمس (5) سنواتٍ، ثم في كل الخمس(5) سنوات المتبقية نزلت ثلاث (3) مطالع فقط. وإلى أن يثبت أحدهم العكس فإن ترتيب سورة الروم يشكل دليلاً ضد أيّ محاولةٍ لوضع توقيت نزولها خارج السنة المكية الأخيرة.

هذا التاريخ كفيلٌ لوحده بتفنيد ما ذهب إليه أهل الإعجاز التنبؤي من أن محمدًا تبصر بنصر الروم وهم منكسرون انكسارًا يبدو للجميع نهائيًّا، لأن الآيات قيلت في العام الأخير للهجرة، وهو نفس العام الذي خرج فيه هرقل وبدأ بالانتصار، فيبدو أن محمدًا ما نطق إلّا لمّا أتاه ما يفيد ببشائر الظهور الرومي. تبصرٌ شنع على إعجازه من الأساس، في معرض دفاعهم عن نسختهم منه، أنصار الإعجاز التزامني. فقال بعضهم «لو وقفت النبوءة عند «توقع» انتصار الروم على الفرس في بضع سنين لقيل حكيم حصيف، قدر أن الحرب بين الفرس والروم كر وفر، كالعهد بالحرب بين كسرى وقيصر، جولة هنا وجولة هناك .وأن كرّة الروم على الفرس لن تتأخر بحساب الزمن سوى بضع سنين، يضمد فيها قيصر جراحه، ويستجمع قواه، ويعيد تنظيم فلول جيشه، ويعبئ حشوده، طالما صمدت القسطنطينية عاصمة الروم وقلب الإمبراطورية ضدّ هجمات للفرس، وردتهم على أعقابهم. لايحتاج هذا التنبؤ إلى وحيٍ، فهو تقديرٌ حصيفٌ شأنه شأن تقديرات خبراء الاستراتيجية العسكرية في كل العصور،بل ما كنت لتعدم من يقول به من العرب أشياع الروم في شبه الجزيرة، بل وما كنت لتعدم بين قادة جيوش الفرس أنفسهم من يحسب حسابه ويعد العدة لمواجهته» فهو «حدثٌ



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

محتملٌ، غير مستبعدٍ بمنطق مسار الصراع بين ندين متكافئين تدور الحرب بينهما سجالاً، يدال لهذا من ذاك. فتقول جازمًا مطمئنًا أن الكرة التي كانت اليوم للفرس، ستكون للروم في غد غير بعيد». من الواضح إذا أن التنبؤ بنصر الروم وحده غير قادر، حتى عند بعض المسلمين، على أن يثبت نفسه كخارق من خوارق الطبيعة. آيات مبهمة بتأويلات فضفاضة، وأحاديث ظنية بمعلوماتٍ متضاربةٍ، ومنطقٍ سقيمٍ مختلَفٍ عليه بين أهله، كل ذلك يؤدي طبيعيًّا لفشلٍ ذريعٍ في التأسيس لادّعاءٍ عاديٍّ، فما بالك بادّعاءٍ استثنائي، وما بالك لو كان الادّعاء يحاول إكراه تبصّرٍ ممكنٍ وغير مستبعدٍ على أن يكون معجزة عظيمة لا ريب فيها.[20]

الشبهة الرابعة: ضيقًا حرجًا كأنما يصَّعَّدُ في السماء.

ملخّص الشبهة: وصف القرآن من يريد الله أن يضلّه بأن الله «يجعل صدره ضيّقًا حرجًا كأنما يصَّعَّد في السماء»، وقد فاجأنا العلم الحديث أنّ الإنسان يعاني صعوبةً في التنفس كلما ارتفع في الجو، نظرًا لانخفاض نسبة الأكسجين. فأنّى للنبيّ الجاهل أن يعلم ذلك وليس له معرفةٌ بالعلم الحديث.

تفنيد الشبهة: يتسلق البشر منذ عهد إنسان الكهف الجبال، ويلاحظون ضيق التنفس في أعاليها فهو يتفاقم كلما أمعنت في التصعُّد فيها، وأبلغ تفنيدٍ لهذه الشبهة الخرقاء يأتي من مخترع فرية الإعجاز، الأفّاك الأثيم موريس بوخاي نفسه في كتابه القرآن والكتاب المقدس والعلم قال «من المعروف عادةً أنّ الإنسان يشعر بضيقٍ لدى ارتفاعه في الجو، وأن شعوره هذا يزداد بنسبة الارتفاع فيه هذه الظاهرة أوضحها القرآن في السورة 6 الآية 125. ولقد زعم البعض أن هذه الظاهرة لم تكن معروفةً لمحمدٍ في عصر تنزيل القرآن. ولكن وجود القمم المرتفعة في شبه الجزيرة العربية، ما يفوق ارتفاعها ثلاثة آلاف وخمسمائة (3500) متر، يجعل جهل صعوبة التنفس مع الارتفاع أمرًا بعيد الاحتمال» ويردف في الهامش أن «مدينة صنعاء والتي كانت مأهولةً بالسكان في عصر محمدٍ هي على ارتفاع ألفين وأربعمائة مترٍ».[21]

الشبهة الخامسة: والجبال أوتادًا.

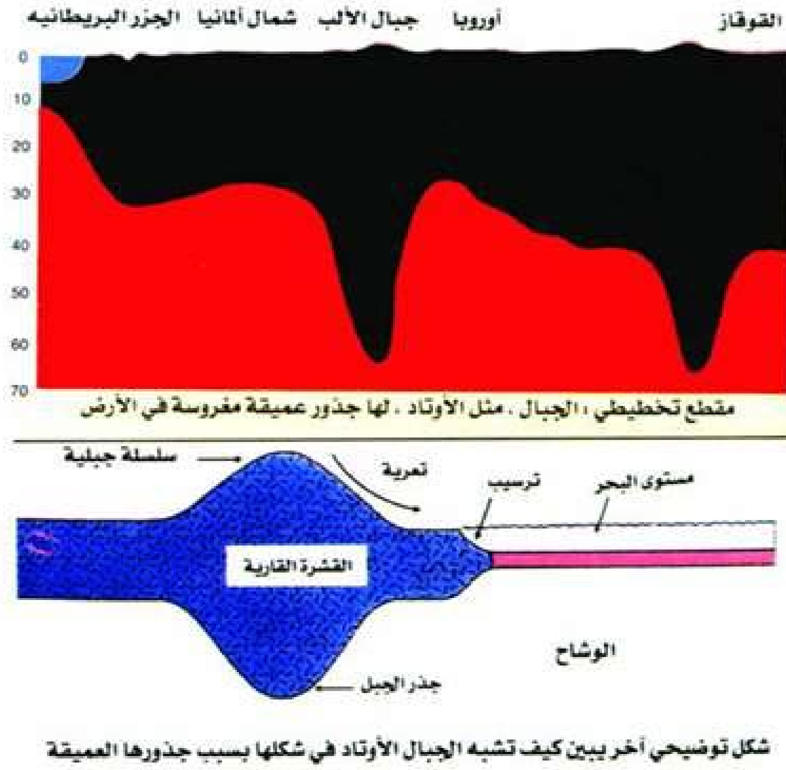
ملخّص الشبهة: وصف القرآن الجبال بـالأوتاد(78:6-7)والـرواسي التي تمنع الأرض أن «تميد» بنا (16:15). وأتى العلم الحديث كعادته، ليؤكد لنا أنّ الجبال لها جذورٌ صخريّةٌ ممتدّةٌ في حمم باطن الأرض بأطوالٍ تبلغ أضعاف الجزء الظاهر منها فوق الأرض، ما يجعل الجبال كالأوتاد تمامًا من حيث الشكل كما في الصور، ومن حيث وظيفة الوتد التثبيتيّة، وكما قال القرآن أن الجبال هي رواسي تمنع الأرض من الميْد، فقد أثبت العلم الحديث أنّ الجبال تلعب دورًا في تثبيت الأرض.



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

لابدّ أن تجد الدعوى مدعمّةً بعدة صورٍ كهذه:



تفنييد الشبهة:

تقوم كل شبهة إعجازٍ على افتراضاتٍ ثلاثةٍ: أولها وجود حقيقةٍ علميةٍ قاطعة الصحة، وثانيها وجود إخبارٍ قاطع الثبوت والدلالة بهذه الحقيقة في نصوص الدين، وثالث الافتراضات وجود استحالةٍ طبيعيةٍ تحول بين الإنسان وبين معرفة تلك الحقيقة في عصر نشوء الدين. وهذه الشبهة بشقيها «الـوتدي» و «التثبيتي» تدعي كل ذلك لنفسها زورًا وبهتانًا.

فأما الجانب الوتديّ منها فحقيقته العلميّة هي وجود جذورٍ صخريّةٍ للجبال ممتدةٍ في حمم باطن الأرض، لأطوالٍ هي أضعاف ما يبرز من الجبال فوق الأرض. وهي صحيحةٌ لا ريب فيها (لبعض الجبال وليس كلها، فالجبال البركانية مثلاً ليس لها جذورٌ)، إلّا أنها (في حالة الجبال التي صح امتلاكها لجذور) محرفة عن دقيق حقيقتها لكي تتلائم مع النص الديني القائل بأن الجبال «أوتادٌ» .

إذ إنّ الصور التي يعرضها الإعجازيون للترويج لشبهاتهم محذوفٌ منها (وهم الذين حذفوا منها) تنبيهٌ ينصّ على أنّ المقياس الطولي للصورة «مبالغ فيه مبالغة عظيمة» وفي صورة أخرى يتبيّن أنّ شكل الجبل الظاهر في الصورة السفلية إنّما تكمن حقيقته في كون « المسافة الأفقية غير متناسبةٍ مع الأبعاد الفعليّة» ، حذفوا ذلك كله وأضافوا بدلاً منه كلامًا من عندهم يدعم زعمهم، غير أنّ الحقيقة تكمن فيما تبيّنه الصور التالية: [22]



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

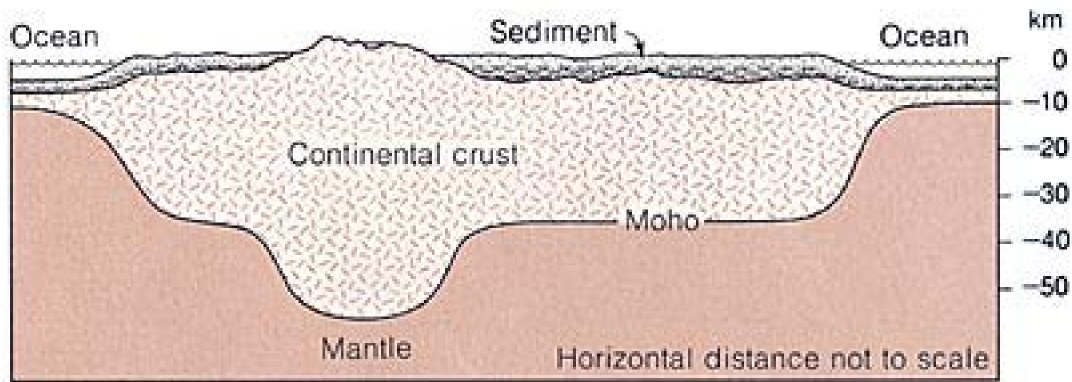
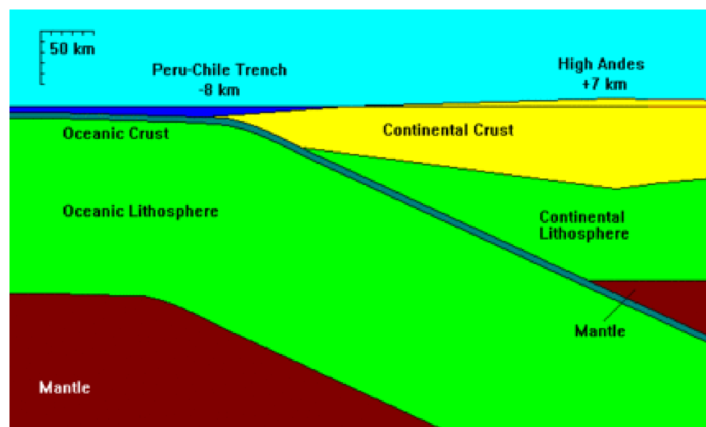


Figure 60. Profiles of the earth's crust (grey) and mantle (red) across the continents and oceans (vertical scale greatly exaggerated). Under every high area or mountain range the lighter crust projects downwards into the heavier mantle, thus preserving isostatic equilibrium.

فهؤلاء لا يدخلون ساحة العلم حياديين، بل مغرضين منذ الابتداء أن يتمحّلوا ذريعةً لتأييد شبهاتهم. فلا يحسب المزوّر منهم نفسه من الأُمناء، ولا يلومنّ إلّا ذاته إذا كشف المحققون جهله أو تزييفه ووجّهوا إليه أصابع الاتهام. أمّا عن الصور المرسومة بمقياس حقيقي فهي كتلك، حيث نرى الجبال وامتدادها ملونة بالأصفر:



هذه الصور واقعيّة المقاييس «ليس لها أدنى شبهٍ بالأوتاد» ولا يمكن تشبيها بها إلّا«بإضافة الخيال، الكثير من الخيال في الحقيقة»، و «مجازًا فقط، وليس بأي شكلٍ حرفيٍّ» [23]. الأوتاد تكون مفلطحةً في الأعلى مستدقةً في الأسفل بينما الجبال على عكس ذلك (مع إضافة الخيال أيضًا لأنّ الجبال أكثر استعراضًا وامتدادًا من شكل الوتد نفسه بكثير، وأبعادها غير متناسبةٍ مع أبعاده)، الأوتاد مسؤولة عن تثبيت طبقتين «ليست الأوتاد جزءًا منهما» وذلك بخلاف الجذر الذي يمتدّ من الطبقة العليا في السفلى، وبالنظر إلى الجبال نجدها جزءًا من قشرة الأرض ويمتدّ لها جذرٌ في جوفه المنصهر لكنها ليست وتدًا منفصلاً عنهما.



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

فليس من الإنصاف إذن التعسّف في حمل لفظ الوتد على شكل الجبل وتجاهل الاختلافات الجوهرية بينهما تلمُّسًا لإكراه القرآن على التوافق مع الكشوف العلمية، وقسر الكشوف العلمية على التماهي مع القرآن.

أما الضربة النهائية لهذه الشبهة، فتأتي من تفنيد الافتراض الثالث القائل باستحالة أن يعبّر القرآن عمّا يفيد امتلاك الجبال لجذورٍ، وذلك في الزمن ماقبل العلمي الذي نزل فيه. وهذا باطلٌ إذ إن شكل الجبال الممتد في عمق الأرض تصوّرٌ قديمٌ قدم التاريخ. ففي التوراة على سبيل المثال ذُكر على لسان يونس النبي الهارب أنه لما نزل إلى أعماق البحر رأى أسافل الجبال، قال مناجياً الرب إلهه «لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ.. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ» (يونان 2:6) وتكرّر ذكر نفس التصوّر في (أيوب 8:9) «إِلَى الصَّوَّانِ يَمُدُّ يَدَهُ. يَقْلِبُ الْجِبَالَ مِنْ أُصُولِهَا » وفي (مزمور 18:7) «فارتجت الأرض وارتعشت، أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب» وهذه التعبيرات ترد في ترجماتٍ مختلفةٍ بصيغة «جذور الجبال»[24].

أما القول عنادًا بأن روايات الكتاب المقدس مشحونةٌ بالخرافات، فلا يصلح كاعتراضٍ على تفنيد شبهة الإعجاز، لأنّ مدار التفنيد على إثبات تواجد التصوّر المزعوم أو عدم وجوده عند معاصري محمد أو السابقين عليه، لا يضير ذلك إن كان عندهم كخرافة، بل مما يتفق مع رؤيتنا وجوب أن يكون خرافةً أو معرفة بدائية، وإلا كنا ننسب الإعجاز لهم إذ ننزعه من محمد.

فالتحجّج بذلك لا يعدو أن يكون إلّا مراوغةً واستنفاذًا للذرائع. أما كيف نفسر امتلاك اليهود القدماء وغيرهم لتصوّرٍ عن امتداد الجبال في باطن الأرض، فجوابه نزعة كل الأقدمين للتفكير الغائي، فلكل شئٍ عندهم وظيفةٌ وغرضٌ، وإذا أتى الأمر للجبال فأول ما يرد للذهن البدائي هو أنها موضوعةٌ هنا لتثبيت الأرض كأساساتٍ، إذ يغري منظرها بالقول بذلك. وهم وإذ قد اعتقدوا أنّ الأرض تعوم على ماءٍ فلا شك أنهم اعتبروا الجبال موضوعةٍ عليها لتثقيل الأرض كي لا تضطرب فوق الماء، تمامًا كحال السفن التي يتمّ إثقالها بالرواسي، وهذا موجودٌ في تفاسير السلف[25].

وهنا يمكن أن نظنّ أن محمد قصد تشبيه الجبال بالأوتاد وظيفةً لا شكلاً، لابد أيضا، أنّ الأقدمين والشماليين منهم خصوصًا، كانوا قد شاهدوا الجبال الجليدية، وهي جبالٌ ممتدةٌ في باطن الماء لا يظهر فوق سطحه منها إلا بروزٌ يسيرٌ مقارنةً بما هو تحت، فلا يبعد أنّ معرفة هذا النموذج وانتشاره بالتواصل بين القدماء جعلهم يتخيلون الجبال الصخرية كذلك بقياسها على الجليدية. كما أن من الأقدمين من هدم الجبال ومن نحت من الجبال قصورًا وبيوتًا وعبّدوها لسكناهم (مثلما ذكر القرآن عن عادٍ وثمود)، فلا بدّ أنهم لاحظوا انغراس صخر الجبال في الأرض، ذلك لأنه السبب الوحيد الذي يجعل الجبال المستعمرة تحتفظ بتماسكها إثر تفريغها من الداخل ومآلها كغرفٍ مُفَتَّحةٍ تحوطها جدران مهفهفةٌ كانت لتنهار لولا عملت جذور الجبال كأساسٍ يرسّخها في الأرض.

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤



Matheos Harison

أمّا الشقّ الثاني للدعوى التي تزعم سبق القرآن لاكتشاف تثبيت الجبال للأرض، فباطلٌ؛ إذ لا يوجد تأسيسٌ علميٌ لادّعاء تثبيت الجبال للأرض، لا يوجد غير ادّعاءات من زغلول النجار، ادّعاءاتٌ شخصيةٌ وليست أوراقًا علميّةً، كما أن هناك بعض المحاولات لتحريف بعض الأوراق العلمية بقصد موافقتها لدعواهم،غير أنّ المحققين يردّون هذا التمحّك [26].

ولو أنهم وأميرهم في الدجل قد أنصفوا من البداية، لتجنّبوا فضح جهلهم وتحيزهم وتعصبهم لأفكار غير حيادية ومسبّقة. ولكنّ المثير للاهتمام هو أنه لا قيمة لإثبات الشقّ العلمي في هذه الدعوى من عدمه، لأن الافتراض الثالث في تكوينها مفندٌّ، ونعني هنا افتراض أنه من المستحيل تكوين هذا التصور دون العلم الحديث، فكما أسلفنا في كون الإنسان قد نحت من الجبال بيوتًا ورأى الجبال الجليدية وامتدادها في الماء، وهو إنسان بطبعه يفكر غائيًا، فهذا الخليط لا بد أن يُنتج فكرة أن الجبال هنا لتثبيت الأرض، فلا يمكن للأقدمين عقلنة وجودها إلا على هذا النحو. ولسببٍ ما اقتنع بعضهم أن الأرض عائمة على ماء، فكانت وسيلتهم لعقلنة وجود الجبال، في ظل اعتقادهم بأن وظيفة كل شيءٍ هي خدمة الإنسان، أن يظنّوها هنا لتثقيل الأرض كي لا تضطرب فوق الماء، كما يحدث للسفن إذ تُثقل بالرواسي.

كما نجد التعبير عن هذا المفهوم الذي يعتبر الجبال مثبّتاتٍ للأرض شائعًا في كتابات القدماء، ففي التوراة (مزمور 18 فقرة 15): «فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة» ، يتحدث عن الجبال كما أوضحت قصة يونان أنه لما نزل إلى العمق نزل إلى «أسافل الجبال». وفي سفر صموئيل الأول (2:8) يقول«لأن للرب أعمدة الأرض، وقد وضع عليها المسكونة» والمرة الوحيدة الأخرى التي تظهر فيها الكلمة מצוק والتي تعني أساس أو دعامة كانت في سفر صموئيل الأول نفسه (14:5) وتشير إلى جبلٍ وربما يشير ذلك إلى اعتقادهم أنّ دعامة الأرض هي الجبل. أيضًا كان في خرافات الأوغاريتيين أن الجبلين» ترجز» و»ترج» هما دعامتا الأرض والسماء، ارتفاعهما يدعم السماء وعمقهما يدعم الأرض[27].

وبذلك، فما دمنا قدّمنا نموذجًا متسقًا ممكنًا غير مستحيلٍ لحالةٍ يمكن فيها لمحمد أن يكتسب هذه التصورات بآلياتٍ طبيعيةٍ بحتةٍ، فإن أي زعمٍ إعجازيٍ ينهار، لأن من أبسط قواعد الاقتصاد الفكري ألّا نلجأ لما فوق الطبيعة لتفسير ما تستطيع الطبيعة تفسيره، وألّا نضيف فرضيات جديدة إذا كانت للفرضيات الموجودة قوةٌ تفسيريّةٌ كافيةٌ.

فأساس المشكلة عند من يفترضون ابتداءًا أنّ القرآن لا يمكن أن يكون إلّا قول إله فوق البشر هو الإصرار على تفسير النصوص بصورةٍ تجعل مضامينه متوافقةً مع حقائق العلم المكتشفة حديثًا، وغير مقتبسةٍ من كتابٍ أسبق يُنسب لدينٍ آخر، أو مستمدةٍ من معارف تاريخيةٍ أقدم، وهو موقف مُتَعَنِّت يُوقعهم في المغالطات ويفضح عنادًا لا يستقيم مع النزاهة والأمانة. وأمام الحقائق لا يملك المُنصف إلا الإقرار ببشرية القرآن، وكذلك عند من يستكبر على الحق، إذ ينتهي به العجز عن المواجهة بالحجّة إلى المهاترة، ولكنّ الحق غالبٌ مهما تحايل المُبطلون عنادًا ومكابرةً، تحايلاً يُعدّ دليلًا على العجز واستنفاذًا لكل الأعذار، وتهربًا من حقيقة كونه قولًا بشريًا وليس وحيًا من عند إله، لينس ملفقو الشبهات إذن مواجهة العالم الحديث بقرآنٍ خرَّف وسبقته الأسفار والمدونات التاريخية إلى خرافاته، وإلّا فهي فضيحةٌ وانتحارٌ.



Matheos Harison

الإجهاز على شبهة الإعجاز في أساطير الحجاز ٤

قائمة المصادر و المراجع:

(1) ديالكتيك لحاتم القرشي وأبو فهر السلفي في معرض ردهم لشبهة الإعجاز في أدنى الأرض. وقد أضفنا له ما وسمناه بالعلامة *

(2) On the fluctuations of the level of the Dead Sea since the beginning of the 19th century. For :Cippora Klein, State of Israel, Ministry of Agriculture .

(3) Ian W. J. Hopkins. Jerusalem: a study in urban geography. Baker Book House, 1970

(4) وفقاً لمعجم معاني الاسماء.

(5) قال به أهل الإعجاز اللغوي، وما فطنوا أنهم يكذبون به أصدقاءهم من أهل الإعجاز الجيولوجي. وكذلك نولي بعض الإعجازيين بعضاً، انظر العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن لرءوف أبو سعدة 384،385 .

(6) شرح عمدة الأحكام - عبد الكريم الخضير صـ 195

*المنخفض الميت: اختصار لـ: منخفض البحر الميت.

بيزنطة = القسطنطينية، والبيزنطيين= الرومان، كسرى =خسرو.

(7)Bostrom, Nick (2002). Anthropic Bias: Observation Selection Effects in Science and Philosophy.

(8) بحساب التاريخ الميلادي المقابل ليوم 17 رمضان الذي يحتفل به المسلمون كذكرى يوم بدر.

http://www.ihijri.com/

(9).Dodgeon, Michael H.; Greatrex, Geoffrey; Lieu, Samuel N. C. (2002a). The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars (Part I, 226–363 AD). Routledge.

(10)Dodgeon, Michael H.; Greatrex, Geoffrey; Lieu, Samuel N. C. (2002b), The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars (Part II, 363-630 AD), Routledge,

(11) Howard-Johnston, James (2006). East Rome, Sasanian Persia And the End of Antiquity: Historiographical And Historical Studies. Ashgate Publishing.

(12) Kaegi, Walter Emil (2003), Heraclius: Emperor of Byzantium, Cambridge University Press,

(13) Martindale, John R.; Jones, A. H. M.; Morris, John (1992), The Prosopography of the Later Roman Empire - Volume III, AD 527–641, Cambridge University Press,

(14)Norwich, John Julius (1997), A Short History of Byzantium, Vintage Books,

(15)Haldon, John (2001). The Byzantine Wars: Battles and Campaigns of the Byzantine Era. Stroud, Gloucestershire: Tempus.

(16)Martindale, John Robert; Jones, Arnold Hugh Martin; Morris, J., eds. (1992). The Prosopography of the Later Roman Empire, Volume III: A.D. 527–641. Cambridge, United Kingdom: Cambridge University Press.

**(لاحظ :انقطع الوحي ثلاث سنوات بعد 610 حتى 613، وبذلك تكون الفترة المكية الفعلية 10 سنين من 613 إلى 622)

(17) انظر للترمذي في سننه3192،3191،2972،2935، 3194،3193

(18) انظر حديث البخاري 2583

(19) كتاب التمهيد في علوم القرآن، للشيخ محمد هادي معرفة.

(20) انظر لمؤسس الإعجاز اللغوي «رءوف أبو سعدة» كتابه «من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن: العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن» الجزء الثاني من طبعة دار الهلال صـ380،381

(21) موريس بوخاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ترجة الشيخ حسن خالد. صـ 220.

(22) Anatomy of the Earth, Cailleux, p. 220

(23) تعليق للناقد الديني «ساهاب» محرر موقع ويكي إسلام.

(24) الترجمة الأمريكية النموذجية الجديدة 1995) New American Standard Bible(

(25) انظر مثلاً تفسير القرآن العظيم لابن كثير في هذه الآيات المذكورة عن الجبال.

(26) أرادوا تحوير البحث:

David Smith, Director of Professional Development, MadSci Network, Earth Sciences, March 14, 2004

ولكن، كما أشار ساهاب، هم ببساطة يرتكبون مغالطة التركيب، بتعميم خصائص الجزء على الكل.

(27) Gibson 1978, 66

شبكة الملحدين العرب

arab atheist network

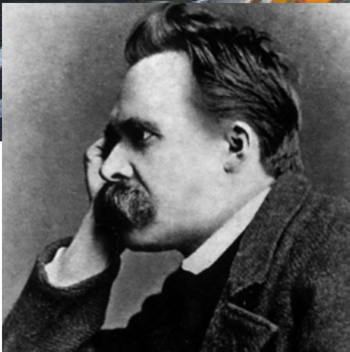
arab atheist network

atheist

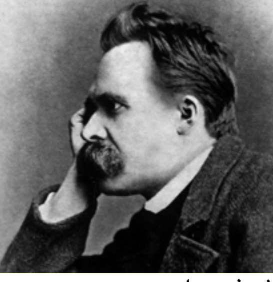


https://www.facebook.com/groups/arbangroup

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة



شريف حوا



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

= مقدّمة =

عانت المرأة لعصورٍ طوالٍ من القهر والكبت، ومن نظرةٍ دونيةٍ فرضها مجتمعٌ ذكوريٌّ. ونستطيع القول: أنّ ذلك، وإن خفّت حدّته في هذا العصر إلا أنه لم يختفِ، لا بل نجده يتجدّد بصورٍ أخرى.

يجد عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي لويس هنري مورجان (1818 – 1881) أن هنالك رابطةً قويةً بين الملكية الخاصّة ووضع المرأة، وفي هذا تفسير لعزلة المرأة (الزوجة خاصة) وتعقيمها ولفّها في ثيابٍ كثيفةٍ، حتى لا يظهر من جسدها شيءٌ فيكون مدعاةً لإثارة الغرائز وجذب الرجال [1].

في عرضنا التالي، سنجد مكانة المرأة تتذبذب بين اعتبارها مجرّد حيوانٍ أو كائنٍ لا إنسانيٍّ تارةً، وبين إنسانٍ متساوي الحقوق مع الرجل تارةً أخرى. سنجد حوادث مثيرةً غريبةً بمقاييس عصرنا، فحيناً تتمرّد نساء روما على واقعهن ليقتلن أزواجهن، ثم ينتحرن بعد افتضاح أمرهن، وحيناً نجد قدّيساً يبتر أعضاءه الجنسية لكبت شهوات الجسد وتقرّباً من الإله، وحيناً نجد أحد الأنبياء يسهّل لامرأته الدعارة، وآخر يبيعها لقاء ثمنٍ. سنجد نساء يمنعن من مجرّد الاستحمام لأن ذلك: «يثير الشهوات».

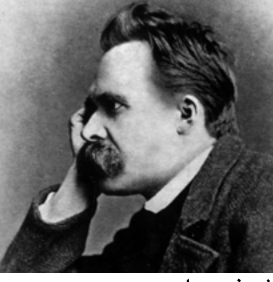
لن أطيل في مقدّمتي، وسأترك القارئ مع هذا البحث الموجز، الذي حاولت جعله شاملاً قدر الإمكان، كما تقصّدت الاعتماد على الاقتباسات بشكلٍ أساسيٍّ، لتصل الفكرة كما صاغها صاحبها، وبكلماته.

= ما قبل المسيحيّة =

ظهرت المسيحية في فلسطين في عصرٍ كانت فيه السلطة المدنية للرومان والدينية لليهود، هكذا تنازعت الديانة الوليدة سلطتان متباينتان ومختلفتان في كثيرٍ جداً من الأمور، لكنهما تلتقيان عند شيءٍ واحدٍ: كراهية المرأة، أو بتعبيرٍ أدّق «النظرة الدونية إلى المرأة».

الخلفية المدنية الرومانية:

على صعيد العائلة، منح القانون الروماني الرجل سلطاناً لا حدّ له على زوجته وأبنائه، وإذا ولد له طفلٌ مشوّهٌ أو معوّقٌ على أيّة صورةٍ من الصور كان من حقّه أن يتخلّص منه بالطريقة التي يراها مناسبةً، كأن يغطسه في الماء ليموت غرقاً، أو يتركه في العراء لتلتهمه وحوش البرية.. أما إذا كان المولودة أنثى فمن حقه أيضاً خنقها –إذا أراد- أو تركها في العراء لتموت.



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

وفي المجتمع الروماني كان هنالك ثلاث طبقات من النساء[2]:

أ. المواطنة الرومانية الحرة: وهي الزوجة والأم وربة المنزل أو السيدة.
ونجد مدونة جوستنيان تعطينا فكرة واضحة عن وضعها في قسمٍ عنوانه «تقريرات خاصة بالنساء والزواج»، وتقول المدونة[3]:

(1) ليس للنساء ولاية الأعمال العامة.

(3) رأي القدماء جعل النساء تحت الوصاية، ولو بلغن سن الأهلية لطيش عقولهن.

(11) على النساء الخضوع لأزواجهن.

(12) على المرأة أن تتبع زوجها ما لم يكن أفاقاً.

(14) الرجال قوامون على نسائهم.

(16) المرأة دون الرجل في كثير من أحكام القوانين.

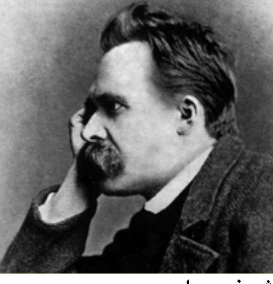
(17) تجوز المقايضة على المهر أثناء قيام الزوجية متى كان هذا في صالح المرأة.

(18) من صالح الجمهورية احتفاظ النساء بمهورهن؛ ليكون ذلك عوناً لهن على التزوج مرة أخرى.

هكذا يتضح لنا أنه على الصعيد القانوني لا وجود إلا للرجل. أما المرأة فتظل تحت الوصاية طوال حياتها، كما أن الرجل يهيمن أيضاً على الحياة الدينية، فالأب رب الأسرة وكاهنها الأكبر، وحده المخوّل بتأمين استمرار عبادة الأجداد[4].

كان من عادة الرومان عقد قرانهم على شاباتٍ صغيراتٍ، بل على فتياتٍ لم يبلغن بعد؛ فقد كان سنّ الزواج القانوني للفتاة اثنتي عشرة سنةً. وكان على الفتاة عندما تتزوج أن تختار بين نوعين من الزواج: الزواج بوضع اليد؛ وهو زواجٌ يتبعه وضع العروس وما تملك تحت سلطان زوجها أو والده، وهنا يقوم الأب بنفسه بتسليم الفتاة إلى يد زوجها أو وضعها تحت سيطرته. أما النوع الثاني فهو الزواج دون تسليمٍ، وفيه تظل الفتاة وما تملك تحت سلطان والدها. وكان هناك نوع ثالث يعرف بالزواج بطريقة «الكنفرياشيو» ومعناها «أكل الكعك معاً» وكان هذا النوع الأخير يتطلب حفلاً دينياً خاصاً تجرى مراسيمه أمام مذبح الإله جوبتر بحضور كاهنه الأعظم وعشرة شهودٍ، وهو زواجٌ لا يتم في العادة إلا بين الأشراف والنبلاء. وكان النوع الأول هو الذي تفضله الفتاة عادة، أي: أن تصبح خاضعةً للزوج وتحت رحمته.

يقول كاتو الأكبر (234 – 149 ق.م) سياسيٌّ رومانيٌّ اشتهر بالتمسك بالتقاليد اليونانية القديمة: «إذا وجدت زوجتك تزني فإن القانون يتيح لك أن تقتلها بلا محاكمةٍ. أما إذا فاجأتك، مصادفةً وأنت ترتكب هذه الجريمة نفسها فليس لها أن تمسّك حتى بأطراف أصابعها، لأن القانون يحرّم عليها ذلك..»، كما كان يحرّم على الزوجات شرب الخمر تحت طائلة العقوبة المشددة، أقصد الضرب حتى الموت[5].



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

في ظل هذا التضييق على المرأة، شهد التاريخ الروماني بعض الحركات النسوية الاحتجاجية، منها أنه في عام 331 ق.م انتشر في روما مرضٌ غريبٌ لم يسمع عنه أحد من قبل، وقد هاجم هذا المرض مجموعةً كبيرةً من المواطنين – من بينهم عدد كبير من النبلاء والأشراف الرومان وكانت أعراض المرض المجهول واحدة عند الجميع تقريباً، كما كانت النتيجة واحدة أيضاً: «الموت»، ومن ثم هلاك الجميع! إلى أن ذهبت خادمة إلى الشرطة ذات صباح وقالت إنها تستطيع أن تفسر أصل هذا المرض، لتثبت فيما بعد أن الزوجات في لحظة تمرّدٍ ضد أزواجهن مزجن الخمر بنوعٍ معيّنٍ من أنواع السموم، وهذا يثبت أن الرومانيات لم يستسلمن أو يخضعن لطغيان الذكورية[6].

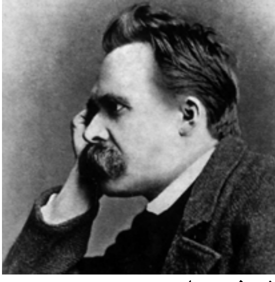
ب. المرأة الأجنبية: مثل الرجل الأجنبي بلا حقوقٍ أو امتيازاتٍ.

كان من حق الرجل الروماني أن يمارس الجنس مع المرأة الأجنبية، لكن ذريته منها غير معترف بها، فهي لا ترث شيئاً لأنها لا تعدّ من المواطنين الرومانيين.



ت. الجواري: ملكٌ خاصٌّ لسيدهن.

لم تكن لهنّ أيّة حقوقٍ، لأن الجارية كانت تعامَل على أنها مجرّد حيوانٍ أو بقرةٍ كما وصفها بعض الكتّاب. وإذا ما أنجبت ذريةً قويةً صحيحة البدن نالت رضا سيدها. وليس من حقّها أن تتزوّج لأنّها وأطفالها ملكيةٌ خاصّةٌ للسيد، وإذا ما مارست الجنس مع أحد عبيد سيدها فإنّ الذرية من حقّ السيد.



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

الخلفية الدينية اليهودية[7]:

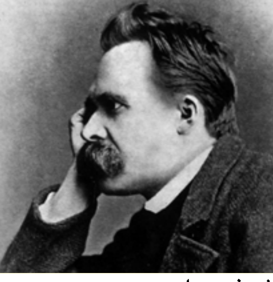
لم تخرج أنظمة بني إسرائيل عن الأنظمة السائدة لدى قبائل الرعي، وفي مقدمتها: النظام الأبوي؛ فالولد ينسب إلى أبيه ويلتحق بعشيرة الأب. وهكذا كان الرجال وحدهم اليهود، أما النساء فهن بنات اليهود (أي تابعات لهم). والأسرة الإسرائيلية بطريركيةٌ كما لدى الرومان، فالبيت الإسرائيلي يتكون من: الرجال، وعددٍ من الزوجات، والسراري، والأولاد من الزوجات والجواري، وزوجات الأولاد، والأحفاد، بالإضافة إلى العبيد. ورأس العائلة هو الأب أو الـ «روش»، وهو يستطيع التصرف في أبنائه كما يشاء: فله أن يبيع ابنته لمن يرغب في شرائها كما جاء في سفر الخروج: «إذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد ...» (21 : 7).

وكانت الفتاة في مطلع حياتها ملك أبيها، يحق له إنكاحها لمن شاء لقاء أن يقوم العريس بخدمته: «من يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتي امرأة» (يشوع 15 : 16). وقد خدم يعقوب عند خاله «لابان» سبع سنوات ليتزوج من ابنته الكبرى ليئة (رغم أنه كان يحب الصغرى) ثم سبع سنوات أخرى ليتزوج من حبيبته راحيل (تكوين 19 : 15 – 20). بل إن الأب يملك على أولاده حق الحياة والموت، وله أن يحرق زوجة ابنه المتوفى إذا زنت كما فعل يهوذا في «ثامار»: «فها هي حبلى من الزنى، فقال يهوذا أخرجوها فتحرق» (تكوين 38 : 24).



كما شاعت ظاهرة التسرّي وملك اليمين بين اليهود[8]، وورد مصطلح السراري أو مرادفاتها في معظم الأسفار التوراتية، فكان للنبي سليمان ألف امرأةٍ من جنسيات مختلفة: «وكانت له سبعمئةٌ من النساء السيدات وثلاثمئةٍ من السراري فأمالت نساؤه قلبه» (الملوك الأول 11 : 2). وترددت في أكثر من موقع عادة إهداء الأفراد والزوجات والجواري للأنبياء والشيوخ أو الأزواج، وأبيح للمحاربين الزواج من السبايا الجميلات، واسترقاقهن: «حين تقترب من مدينةٍ لتحاربها استدعها للصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإذا لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف»(تثنية 20: 10 – 13).

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة



شريف حوا

انتشرت ظاهرة تعدد الزوجات وخاصة بين الأنبياء والموسرين، مثلاً في تقسيم الإرث نجد: «إذا كان لرجلٍ امرأتان إحداهما محبوبةٌ والأخرى مكروهةٌ فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة .. فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر» (تثنية 21 : 15 – 16). كما تزوج يعقوب من ابنتي خاله «ليئة وراحيل»، وتباهى النص التوراتي بكل من داوود وسليمان وجدعون بتعدّد زوجاتهم وكثرة نسلهم.

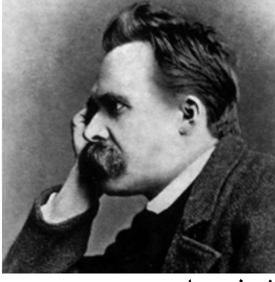
أحلّت التوراة اغتصاب النساء وقيّدته بأن وضعت عليه بعض الشروط: «إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبةٍ فأمسكها واضطجع معها، فوُجِدا. يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجةٌ من أجل أنه قد أذلّها، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه»! (تثنية 22 : 28 – 29) وليس من انتقاصٍ أن يغتصب آمنون بن داوود أخته العذراء ثامار التي أسقمته، فاحتال عليها كي تحضر إلى مخدعه، ورغم اعتراضها: «لم يشأ أن يسمع صوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها، ثم أبغضها آمنون بغضةً شديدةً جداً حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها..» (صموئيل الثاني 13: 15).

أما من ناحية الزنا والدعارة فنجد تناقضًا واضحًأ في الحثّ عليه تارةً والنهي عنه تارةً أخرى، ولعل هذا التناقض قرينة صريحة لتمرحل الوضع التوراتي بين فترة جنسوية حاول فيها الكهنة توظيف الدعارة لصالح اليهودية، لكنه وفي فترةٍ أخرى أملت الحاجة إلى وقف ذلك التدهور الأخلاقي للحفاظ على الهوية التي أصبحت مهدّدةً.

ولإزالة أيّ إشكاليةٍ تعوّق توظيف الزنى أو تضغط باتجاهه اللوازم الأخلاقية أو الأبوية في الامتلاك، كانت القدوة في الأنبياء والأبطال ضروريةً لإيجاد ذلك الزخم الداعر دون موانعَ أو حدودٍ في السعي من أجل الأهداف.

فها هو إبراهيم يحثّ امرأته على الدعارة في مصر والادعاء أنها أخته وليست زوجته؛ كي يصيب الثروة والجاه عند فرعون: «وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلوني ويستبقوك، قولي أنك أختي، ليكون لي خيرٌ بسببك وتحيا نفسي من أجلك، فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًا ورآها رؤساء فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنمٌ وبقرٌ وحميرٌ وعبيدٌ وإماءٌ وأتنٌ وجمالٌ» (تكوين 12 : 11 - 16 ، 20)، وهنا لا يغضب الرب على أبرام، إنما يعاقب فرعون بسبب تلك الفعلة. وتكافئ سارة زوجها أن تهدي له جاريتها المصرية هاجر فحبلت منه وولدت له اسماعيل. ويتكرر ذات السيناريو مع أبيمالك ملك جرار.

وداوود النبي يزني بامرأةٍ رجل فتحبل منه ويرسل رجلها إلى الحرب ليُقتل كي يضمها إلى بيته: «وكان في وقت المساء أن داوود قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأةً تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً،



تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

شريف حوا

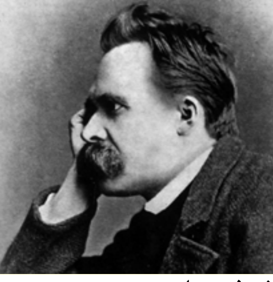


فأرسل داوود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي، فأرسل داوود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرةٌ من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسل يوآب أوريا إلى داوود، فأتى أوريا إليه فسأل داوود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب» وتمضي الرواية في سرد اللقاء والحوادث التي أعقبته حتى تصل: «وفي الصباح كتب داوود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول، اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت» (صموئيل الثاني 11 : 2 – 7 ، 14 – 15).

وهاهو يفتاح الجلعادي يصبح رأساً وقائدا وهو ابن امرأة زانية (قضاة 11 : 1 ، 11). أما شمشون الذي حلت فيه روح يهوه: «باركه الرب وابتدأ روح الرب يحركه في محله صارت امرأته لصاحبه الذي كان يصاحبه» (قضاة 14 : 20).

ولكي تحصل «نعمي» على حصةٍ من حصاد الحنطة والشعير تنصحها حماتها بمضاجعة جبار بأس يدعى «بوعز» (راعوث 3 : 1 – 5).

ولا ضير من أجل بقاء الجماعة أن تقوم ابنتا لوط بمضاجعة أبيهما بعد أن تسقياه الخمر والسفاح بالولادة منه: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجلٌ ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه، فنجني من أبينا نسلاً فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم بإضجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا أيضًا فادخلي اضطجعي معه فنجني من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، لم يعلم بإضجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر إبنًا ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضًا ولدت إبنًا ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم». (تكوين 19 : 20 28-)



شريف حوا

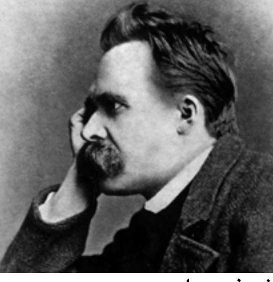
تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

لكن هذه المرحلة الجنسوية أو «زمن الحب الداعر» عصفت بها رياح الانقلاب الفكري والسلوكي، بعد أن خرج إطلاق الزنى بالقدوة المقدسة عن السيطرة[9]، فضلاً عن انتشار الأمراض التناسلية التي خصص لها كاتب سفر اللاويين ثلاثة إصحاحاتٍ كاملةٍ (13 – 15)، لذلك أصبح لزاماً الحكم على الفاسقات بالحرمان والرجم بالحجارة وقطع السيف وحرق البيوت للحيلولة دون الدعارة بغير أجرٍ: «وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأةٍ قريبةٍ يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجلٌ مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما، وإذا اضطجع رجلٌ مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما قد فعلا فاحشة دمهما عليهما، وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلةٌ بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم». وكما حرم اللواط (المثلية الجنسية): «إذا اضطجع رجلٌ مع ذكرٍ اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسًا إنهما يقتلان دمهما عليهما، وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمةٍ فإنه يقتل والبهيمة تميتوها». (لاويين 20 : 10 – 17).

وتميّز التوراة في النجاسة بين ولادة الذكور والإناث: «إذا حبلت المرأة وولدت ذكرًا تكون نجسةً سبعة أيامٍ، كما في أيام طمث علتها تكون نجسة ... وإن ولدت أنثى تكون نجسةً أسبوعين كما في طمثه». ولا تقتصر نجاسة المرأة بمنع اتصالها الجنسي بالرجال في فترة الطمث وإنما يصبح نجساً كل ما تستخدمه الحائض وكل من يمّسها أو يمسّ ما تضطجع عليه أثناء تلك الفترة، بل يمتد ذلك للرجل: «إن اضطجع معها رجل فكان طمثه عليه يكون نجسًا سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسًأ» (لاويين 15 : 24). وإذا حرّمت التوراة أكل لحم الجمل والوبر والأرنب والخنزير وعدم لمس أجداثها «لنجاستها» فإنها لم تحرّم لمس هذه الحيوانات وهي حية كما فعلت بالنسبة للمرأة!

وقد عبّر صاحب سفر الجامعة عن نظرة المجتمع اليهودي إلى المرأة بقوله: «وجدت أمرَّ من الموت: المرأة، التي هي شباك، وقلبها شراك، ويداها قيود. الصالح قدام الله ينجو منها، أما الخاطئ فيؤخذ بها » (7 : 27) فوضع المرأة المتدني كان يحتم عليها أن تخاطب زوجها كما يخاطب العبد سيده أو الرعية مليكها. وفي حالة النشوز أي إذا ما أعرضت المرأة عن فراش زوجها أو رفضت خدمته له أن يعاقبها. كما فرضت الشريعة اليهودية على الزوجة أن تغطي شعرها (لأنه عورة) علامة على ملكية الزوج لها وعلى خضوعها، وذهب البعض إلى حدّ إرغامها على ستر جسدها كله بملاءة[10].

وكان الرجل اليهودي يصلي في صلاة الصبح داعيًا وشاكرًا لله: «أحمدك يا رب أنك لم تخلقني امرأة». أما المرأة اليهودية فكانت تصلي مستسلمة: «أحمدك يا رب أنك خلقتني كما تريد». فالمرأة يصنفها العهد القديم مع الحيوانات والممتلكات: «لا تشته بيت قريبك، ولا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئًا مما لقريبك» (الخروج: 117).


شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

كما استحدث اليهود الحجاب الساتر في المعابد للفصل بين الرجال والنساء وحرّموا مصافحتهن. وجعلوا لهن مدخلاً خاصًا إلى المعبد، وألزموهنّ الصمت في دور العبادة توقيرًا لجماعة الرجال، وكنّ لا يحسبن في العدد الواجب اكتماله للصلاة، كما منعوهن من ارتقاء المنصة خلال الصلاة لتلاوة التوراة بصوتٍ مرتفعٍ. وإذا ما لمست امرأةً عباءة «الطاليت» التي يلبسها اليهود في صلاتهم، فإنه يصبح نجسًا[11].

= المسيحيّة الناشئة والمرأة =

علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن المسيحية ولدت في كنف المجتمع اليهودي ومن رحم التوراة، لذلك لا يمكن إسقاط التأثيرات الكهنوتية عنها، وكان يلزم فكّ آسارها أو التخفيف من صداها الحتمي على التاريخ المسيحي، جهودًا غير عادية البتة اقتضت التدرج في تحرير البدائل الجديدة. ولهذا قامت التعاليم اليسوعية الأولى على قاعدة: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى 5 : 17)، وذلك في توظيف عملي واقعي للسابق لصالح الديانة الوليدة من جهةٍ، ولإتاحة الفرصة لاستيعاب حركة المتغيرات ومشاعر المتذمّرين من سطوة الكهنوت الحاكم وضبابيته في الفقه اليهودي من جهةٍ أخرى.

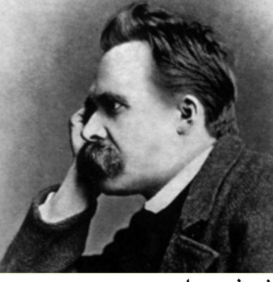
ولكننا سنلاحظ أن الموروث اليهودي قد تفاعل مع الموروث الروماني ليحدث انتكاسةً جديدةً على أيدي خلفاء يسوع، لينعكس ذلك سلباً على واقع المرأة ونظرة المجتمع لها ومكانتها فيه.

موقف يسوع:

الحق أن موقف يسوع (الشخصية المروي عنها في الأناجيل، بغضّ النظر عن حقيقة وجوده من عدمها) من المرأة كان أنضج من موقف أتباعه من الحواريين والرسل والكنائس المسيحية كلها بعد ذلك ولقرونٍ طويلةٍ. وقارئ العهد الجديد لا يكاد يلحظ تمييزاً بين الرجال والنساء. نضرب أمثلة:

عالج يسوع النساء كالرجال بلا تفرقةٍ: منها شفاء ابنة يايرس (مرقس 5 : 22 – 33)، وشفاء حماة بطرس (متى 8 : 14). كما عالج المرأة التي ظلت تنزف اثنتي عشرة سنةً، والتي كانت في نظر اليهود نجسةً لا يجوز أن يلمسها أحدٌ، تمامًا كالمرأة الحائض. (مرقس 5 : 35) (متى 9 : 20 – 22).

وهو يمتدح سلوك الأرملة الفقيرة التي ألقت فلسين (في الخزانة). (مرقس 12 : 43 – 44).


شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

وهو لا يفرّق بين المرأة اليهودية والسامرية، بل يتخطّى النواهي والمحرّمات التقليدية الموروثة عندما مكث طويلاً إلى جانب السامرية. (يوحنا 4 : 8 – 18).

وسلوكه هذا أثار عجب المجتمع: «عند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة» (يوحنا 4 : 27).

وفي بيت عنيا تستقبل مرثا يسوع على مشارف القرية، وهي التي يناقشها أولاً، ثم مع شقيقتها مريم بعد ذلك في موضوعاتٍ كثيرةٍ تتعلق بالإيمان والبعث والقيامة ...إلخ. (مرقس 12 : 43 – 44)

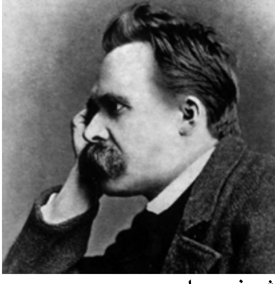
ورفض يسوع رجم الزناة، وجعل عقابهم إلهيًا وليس من اختصاص البشر في الدنيا، وتمثّل ذلك في موقفه من المرأة الزانية التي كان الناس على وشك رجمها فقال لهنّ: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر» (يوحنا 8 : 7).

والأمثلة كثيرة جدًا في العهد الجديد، والتي تروي مواقفَ إنسانيةً رائعةً. وأغلب الظن أن يسوع الذي تروي عنه الأناجيل، يوافق على اختلاط الجنسين واجتماعهما معًا، فهو يحضر احتفالات العرس حيث كانت أمه موجودةً، ولا شكّ أيضاً في وجود نساءٍ أخرياتٍ.

كما كانت هنالك عدّة نساءٍ يتبعن يسوع ويخدمنه: «كانت هناك نساءٌ كثيراتٌ ينظرن من بعيد وهنّ كنّ قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه، وبينهنّ مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي» (متى 27 : 51 – 55) وأيضاً (مرقس 15 : 40 - 41).

لكن وضع المرأة بين المسيحيين الأوائل كان منحطاً بل يمكن لنا القول: إن الأفكار عن النساء قد تدنّت عما كانت عليه من قبل. ولا شكّ أن الخلفية الثقافية والبيئة الاجتماعية التي ظهرت فيها المسيحية هي التي طغت وسيطرت وأودت الأفكار الجديدة التي أتت بها الديانة الوليدة. وهكذا توارت هذه الأفكار لتعاود الكراهية الاجتماعية المتأصلة للمرأة للظهور من جديدٍ متلبسةً هذه الديانة الجديدة، ومضيفةً قداسةٍ دينيةٍ على الآراء الرجعية الموجودة من قبل. وربما عاد ذلك - في جانب منه- «إلى أنك لا تجد في الأناجيل نظرية مشروحة بوضوح عن وضع المرأة ومكانتها » ولن تجد سوى عباراتٍ مقتضبةٍ ومواقفَ عمليةٍ قام بها يسوع[12].

لهذا بقيت الشريعة الرومانية مصدر القوانين في العصور المسيحية الأولى، وفي شطرٍ كبيرٍ من العصور الوسطى.


شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

الرسول بولس[13]:

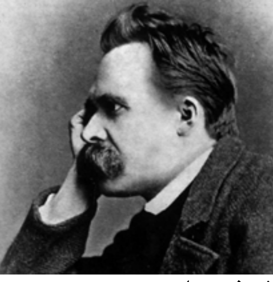
كان القديس بولس أو «رسول الأمم» من طرسوس بآسيا الصغرى مواطنًا يهوديًا من أهل مدينةٍ غير دينيةٍ من «كيليكية» (أعمال الرسل 21 : 39)، وذلك يفسّر إلمامه التامّ باللغة اليونانية. وقد اكتسب المواطنة الرومانية بحقّ المولد. ولم يعد ثمّة شكٌّ في أنه تلقى تعليمه بالمنزل قبل أن يسافر إلى أورشليم ليجلس بين يدي الحاخام جماليل 15 عاماً. ومعنى ذلك أنه كان يحمل معه التراث اليهودي واليوناني معاً عندما ذهب إلى أورشليم. وقد وقع في غرام ابنة أستاذه الجميلة، وأراد الزواج منها لكنها رفضته[14]. ومِن الباحثين من يعتقد أننا أمام خيطٍ واضحٍ يفسّر كراهيته للمرأة: بناءً على المبدأ الشهير في علم النفس الذي يقول «إن الكراهية الشديدة لا بدّ أن تكون ناتجةً في الأصل عن حبٍّ شديدٍ لم يُشبع، أو رغبةٍ عنيفةٍ لم تتحقق وتمّ إحباطها» وسوف نجد لهذا المبدأ أمثلة كثيرة لاحقًا.

وربما تعود كراهيته للمرأة إلى شخصية النساء في موطنه الأصلي طرسوس وتأثيرهنّ عليه، فقد كانت العادات والتقاليد في هذه المدينة تحتم على المرأة أن تغطي جسدها تمامًا بحيث لا يكون في استطاعة الرجل رؤية أيّ جزءٍ من جسدها. ويمكن أن نجمل أفكاره عن المرأة في ثلاث أفكارٍ رئيسيةٍ على النحو التالي:



1. الرجل هو الوسيط بين الله والمرأة:

ومنها قوله: «فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده. أما المرأة فهي مجد الرجل .. لهذا ينبغي أن يكون لها سلطان على رأسها» (كورنثوس الأولى 11: 7 – 10). «لتصمت نساؤكم في الكنائس. إلا إنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمنَ، بل يخضعنَ كما يقول الناموس أيضاً. لكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن بالبيت ..» (كورنثوس الأولى 14: 34 – 36). «لتتعلم المرأة بسكوتٍ في كلّ خضوعٍ ولكن لسْتُ آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكونٍ؛ لأن آدم جبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغوَ ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدّي» (تيموثاوس الأولى 12 : 11 – 14).



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

2. المرأة موجود ثانٍ خُلِق من أجل الرجل:

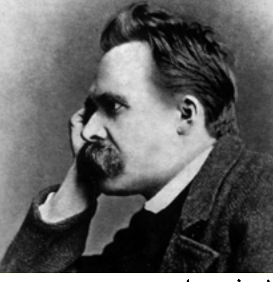
يذهب بولس إلى أن الوضع الثانوي بل المتدني للمرأة ينسجم تمامًا مع النظام العام للكون، وهو في ذلك يشبه أرسطو فيما ذكره عن الهيراركية (او الترتيب التصاعدي) القائمة في الأشياء والموجودات التي يزخر بها الكون. «أما المرأة فهي مجد الرجل؛ لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل ..» (كورنثوس الأولى 11 : 7 – 10) «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق بالعيشة في الرب» (كولوسي 3 : 18). «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب؛ لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح هو رأس الكنيسة» (أفسس 5 : 22 – 24).

3. المرأة أصل الخطيئة:

كان للفكرة التي تقول إن المرأة أصل الخطيئة أثرٌ بالغٌ في تشكيل النظرية المسيحية عن المرأة في القرون المسيحية الأولى - والتي تسمّى بعصر الآباء- ثم في العصور الوسطى بعد ذلك، ولقد بدأت هذه الفكرة من كلمات القديس بولس الذي كان يردّد الأفكار اليهودية السابقة الذكر.



ومن أجل ضمان عدم إفساح المجال أمام المرأة لغواية الرجل أمرها بعدم التزيّن: «النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل، لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ كثيرة الثمن، بل كما يليق بنساء متعهدات بتقوى الله، وبالأعمال الصالحة» (تيموثاوس الأولى 2: 9 – 10). وعلى صعيد آخر: «فيحسن للرجل ألا يمسّ امرأة» (كورنثوس الأولى 7 : 1). «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبعِ البرّ والإيمان والمحبّة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلبٍ نقيٍّ..» (كورنثوس الأولى 1 : 23 – 24). «غير المتزوج يهتم في ما للرب، وهدفه كيف يرضي الرب، أما المتزوج فيهتم في ما للعالم، وهدفه كيف يرضي امرأته..» (كورنثوس الأولى 7 : 23). «إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، فغير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدّسةً: جسدًا وروحًا، أما المتزوجة فهي تهتم في ما للعالم وهدفها كيف ترضي رجلها» (كورنثوس الأولى 7 : 34).



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

لكن بولس لم يأمر بالإضراب عن الزواج، لكن جعله أمراً غير مرغوبٍ فيه: «أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن التزوج أصلح من التحرّق..» (كورنثوس الأولى 7 : 8 – 9). «إن تزوجتَ لم تخطئ، وإن تزوجتْ العذراء لم تخطئ. ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيقٌ في الجسد. وبسبب الزنا ليكن لكلّ واحدٍ امرأته. ليكن لكلّ امرأةٍ رجلها» (كورنثوس الأولى 7 : 2). ثم يقول: «ليس للمرأة تسلطٌ على جسدها، بل للرجل» (كورنثوس الأولى 7 : 1 – 4).

= عصر الآباء =

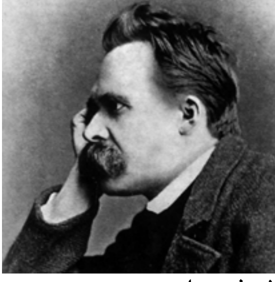
لقد كانت المسيحية تمدّ جذورها وتثبّت أقدامها وسط جوٍّ من الشك والريبة والعداء أيضًا، لا من اليهود فحسب، بل من السلطات السياسية الرومانية أيضًا، ومن المفكرين والمثقفين الوثنيين كذلك، وتعدّدت أسباب الهجمات التي شنت عليها، فبعضها كان نتيجة الشك والريبة، وبعضها جاء من الخوف من المجهول، وبعضها الثالث من سوء الظن بالدين الجديد. وكان على المسيحية أن تواجه هذه الهجمات إذا أرادت أن تبقى، كما كان عليها أن تستخدم الحجج اللاهوتية والفلسفة في آنٍ واحدٍ. ومن هنا جاءت العناصر الفلسفية في كتابات الآباء الأول في المسيحية وتسميتهم بالفلاسفة.

يمتد عصر الآباء الفلاسفة من القرن الأول حتى وصل إلى قمته في القرن الرابع عند القديس أوغسطين (354 – 430) الذي ختم عصر الآباء، لتبدأ أوربا بعده في الدخول إلى العصور الوسطى من القرن الخامس حتى الرابع عشر[15].

وسوف نلاحظ فيما يلي أن نظرة اللاهوتيين المسيحيين تركّز على الجنس، فالمرأة لا إنسانةٌ ولا صديقةٌ ولا زميلةٌ، لكنها مجرّد «وعاء للتناسل»، كما سنجد القديس أوغسطين يقول.

كما سوف نلاحظ شيئًا مشتركًا ألا وهو «كراهية الجسد»، التي كانت فلسفيةً عند أفلاطون، وقد أصبحت دينيةً عند اللاهوتي المسيحي. وإن تمنّى القديس أوغسطين لو أنه كان خصيًا [16]، ليتخلّص من شهوات الجسد والخطيئة، فنجد أن أورجين السكندري (185 – 254) قد نفّذ هذه الأمنية بالفعل عندما نذر نفسه للعفة الدائمة؛ فقام ببتر أعضائه الجنسية فخصى نفسه، لأنه «لم يكن جامدًا بليد الإحساس» بحيث يصمد أمام مغريات الجسد على حد تعبيره[17].

ولعلنا نشير إلى أن معظم -إن لم يكن كل- اللاهوتيين الأوائل قد اشتركوا بـ «الماضي الملوث»، حيث انغمسوا في فترة الشباب بـ «ملذات الجسد»، ثم عادوا في شيخوختهم إلى الندم والبحث عن «كبش فداء» يلقون عليه باللائمة، فتكون المرأة: تلك الشيطانة الجميلة التي دعتني فلبّيتُ، وذلك انسجامًا مع الموروث الفكري الهجين (الروماني – اليهودي) المؤمن بدونية المرأة. وسنتناول الآن أشهر هؤلاء اللاهوتين بالشرح الموجز عن حياتهم، ومجمل أفكارهم فيما يخص المرأة:



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

كلمنت السكندري (150 – 223):

أبٌ من آباء الكنيسة، ومن أوائل الفلاسفة المسيحيين في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، يعتبر مع تلميذه أوريجين من أهم فلاسفة الإسكندرية.

1. حياته[18]:

ولد حوالي عام 150 م لوالدين وثنيين مثقفين. تلقى تعليمه المبكر في أثينا حيث كان مغرماً بالفلسفة اليونانية والآداب الكلاسيكية، بعد اعتناقه المسيحية، سافر إلى الإسكندرية، وهناك تلقى دروسه على يد بانتينوس رئيس المدرسة التي كانت تسمى مدرسة السؤال والجواب، ثم خلف أستاذه رئيساً لهذه المدرسة. ثم رُسم قسيساً. وفر من الإسكندرية أثناء اضطهاد الإمبراطور الروماني سبتموس سفيروس حوالي 202 – 203.

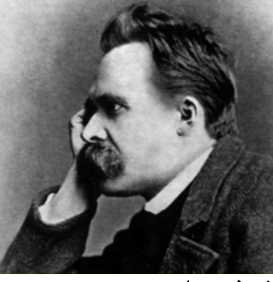
2. كلمنت والمرأة[19]:

يتسم أسلوبه في الحديث عمّا يخصّ المرأة بعدم استخدام الألفاظ «المهذبة» أو الرقيقة، لأن «الشدّة إما أن تكون شدّةً وإما تتحول إلى رياءٍ وكذبٍ ونفاقٍ»، «ومن ثم فلا ينبغي أن يخجل أحدٌ من تسمية ما لم يخجل الله من خلقه»، لدرجة أن مترجم أعماله إلى الإنجليزية يقول: «عندما قررنا ترجمة مؤلفات كلمنت السكندري وجدنا أقساماً منها لا تتفق على الإطلاق مع الآداب العامة، والأفكار الحديثة عن الاحتشام، والتهذيب واللباقة، فرأينا أنه ربما كان من الأفضل الإبقاء عليها في صياغتها اللاتينية بدلاً من ترجمتها إلى الإنجليزية..».

والملاحظ أن اللاهوتيين ورجال الدين عموماً مغرمون بالحديث عن المسائل الجنسية بطريقةٍ فجّةٍ مفتعلةٍ بحجة المصارحة والصدق والأخلاق: «ولا يعتقدون أن في حديثهم فحشاً من أيّ نوعٍ. أيكون ذلك لأنه عندما يدخلون في معركة مع شهوات الجسد لا ينتصرون فيها إلا ظاهرياً فحسب في حين تظل الغلبة لهذه الشهوات؟..».

وكلمنت السكندري يفرّق بين الرجل والمرأة من ناحية العقل: «لا شيء مخزٍ أو شائنٍ عند الرجل الذي وهبه الله العقل. لكن المسألة ليست على هذا النحو بالنسبة للمرأة التي تجلب الخزي والعار، حتى عندما تفكر في طبيعتها، وماذا عساها أن تكون..». وكذلك: «العقل أمانةٌ عند الرجال لا يلحقه خطأٌ، ولا يعتريه عيبٌ أو قصورٌ .. أما عند المرأة فإننا نجدها بطبيعتها شيئاً مخزياً ومخجلاً حقاً..»

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة



شريف حوا

لهذا على الرجل إسكاتها، وإغلاق الدار عليها، فواجبها أن تبقى في المنزل، وألا تجعل أحدٌ يراها في أي مكان، ذلك لأن نظراتها سوف تخلق في أذهان الرجال أفكارًا شريرة.

ويقدم النصح للنساء أنّ عليهنّ ممارسة «رياضة الغزل والنسيج والإشراف على شؤون المطبخ»، فتلك أمورٌ ضروريةٌ – ثم يضيف – وفي استطاعة النساء أن يجلبن من المخزن ما يحتجن إليه .. وليس من العار عليهنّ استعمال المطحنة بأنفسهن، فهي رياضةٌ مهمّةٌ (..) وإذا ما رتّبت فراش الزوج، وأحضرت له الماء كلما أحسّ بالظمأ، إذا ما أعدّت مائدة الطعام بترتيبٍ جيدٍ قدر استطاعتها، فإنها بذلك تكون قد قامت بتمريناتٍ تجعلها صحيحة البدن.

وبشأن الحشمة يقول: «لا بد للمرأة أن تغطي جسدها تماماً ما لم تكن موجودةً في بيتها لأن هذا الطراز من اللبس وقورٌ، وهو يحميها من حملقة العيون في جسدها. وفضلاً عن ذلك فهي حينما تضع الخمار على وجهها لا يمكن أن تدعو غيرها إلى الخطيئة. تلك هي مشيئة الكلمة LOGOS، منذ أن جاءت لتصلي وهي محجبةٌ».

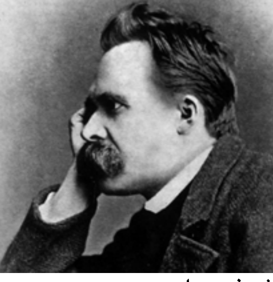
والجدير بالذكر أن مسألة الحجاب والنقاب ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب، بل هي تضرب بجذورها في الماضي الموغل في القدم، لا فقط في العصور المسيحية ولا الرومانية، بل ترتد إلى التراث اليهودي. فقد جاء في نشيد الإنشاد المنسوب للنبي سليمان: «جميلةٌ أنت يا حبيبتي: جميلةٌ عيناك من وراء نقابك خداك كفلقة رمانٍ من وراء النقاب» (4 : 1 – 4).

وقد كان كلمنت من أوائل الفلاسفة المسيحيين الذين بدؤوا في شنّ الحملات ضد الزواج وبيان مساوئه، وهو يصور لنا آلام الطفل وصراخه عند قدومه للعالم لأول مرةٍ؛ لعلنا نعتبر ونمتنع عن الزواج.



ترتليان (160 – 230)[20]:

مع ترتليان وصلت الكراهية المسيحية للمرأة إلى ذروتها، وتحوّلت إلى عقيدةٍ تقبلها الكنيسة قبولاً عامًا. فقد كان موقفه من المرأة حقودياً انتقاميًا بشكلٍ غير مألوفٍ. وتتألف عناصر هذا الموقف على النحو التالي: تصوّرٌ منحطٌّ عن غرائز المرأة ووظائفها، استخفافٌ من وظيفة الأمومة وانتقاصٌ من قدرها، رعبٌ من جاذبية الأنثى وقلقٌ من غوايتها، والتشديد على مسؤوليتها عن السقوط.



شريف حوا

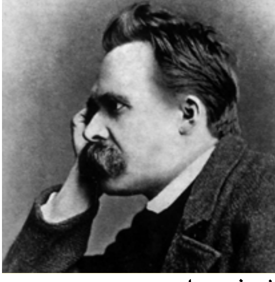
تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

1. حياته:
ولد ترتليان عام 160 في قرطاجة، لأبويين وثنيين، وتلقى تعليمًاً أدبيًا وقانونيًا مكّنه من ممارسة مهنة المحاماة. ويعترف بمؤلفاته أنه في شبابه قارف الزنى وتردّد على أماكن الفسق والفجور. وكان كثير المجون حتى بلغ الثلاثين من عمره، فتحول إلى المسيحية عام 190، ربما أثناء مقامٍ له في روما، فانصرف إلى التأليف في الدين، وكان ضليعًا في اللغتين اليونانية واللاتينية.

2. ترتوليان والمرأة:
لا شك أن فترة الشباب التي عاشها ترتوليان في فسقٍ ومجونٍ قد أصابته بتأنيب الضمير، وساهمت في تشكيل رأيه عن المرأة. وذهب في أوّل بحثٍ له إلى أن النساء تحكمهن دوافع حقيرةٌ، فالمرأة لا تهتم بإمكان الحبّ الصادق، أو الجاد في الزواج.

وهو لا يدين الزينة والملابس فحسب، بل يدين الأنثى بصورةٍ عامّةٍ واضحةٍ، فيقول: «إنّ أيّ امرأةٍ تتحقّق من وضعها كأنثى فإنها سوف تولع بحقارة الظهور سوف تسير مثل حواء، نادمةً منتحبةً، لدرجة أنّها بكل ما تحمله من ثياب التوبة والندم لن تكفّر عمّا ورثته من حواء أعني: خزي الخطيئة الأولى، وعار الهلاك البشري». وليس على الأنثى أن تكفّ عن التبرّج في مظهرها، فقط بل إنّ عليها: «أن تعمل على إطفاء هذه المفاتن، وإهمال الجمال الطبيعي، بل العمل على محو آياته، ذلك لأن جمال المرأة الطبيعي بالغ الخطورة، لكل من يراها أو يتصادف أن يسوقه حظه العاثر للوقوع في طريقها»[21].

لقد كان حكم الإدانة الذي أصدره الله على المرأة هو: «أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك» (تكوين 3 : 16)، لذلك يسير ترتليان نحو القول: «ألا تعلمن أنّ كلّ واحدةٍ منكنّ هي حواء، وأن حكم الله على جنسكنّ مازال قائماً حتى هذه اللحظة. وبالتالي فالجريمة قائمة: أنتنّ الباب المفضي إلى الشيطان، أنتنّ اللائي أكلن من الشجرة المحرّمة. فالمرأة هي التي أغوت الرجل لا العكس، وأول من عصى الله، وخالف الشريعة الإلهية، وأطاع الشيطان، هذا الشيطان الذي لم يجد في نفسه الشجاعة والجرأة لغواية الرجل على نحو مباشرٍ! لكنك أنت أيّتها المرأة حطّمت بسهولةٍ ويسرٍ صورة الله التي هي الرجل» .. «إنها (المرأة) مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضةٌ لنواميس الله، مشوهةٌ لصورة الله (أي الرجل)» .. «الصورة الإلهية في الإنسان على نحو ما تجسّدت في الرجل وبسببك دخل الموت إلى العالم. وبسببك أيضاً كان لا بد لابن الإله أن يموت، فينبغي عليك أن تنتحبي على الدوام، مرتديةً ثوب الحداد. أما الكسوة فأنا أنصحك أن لا ترتدي سوى أسمالٍ باليةٍ».



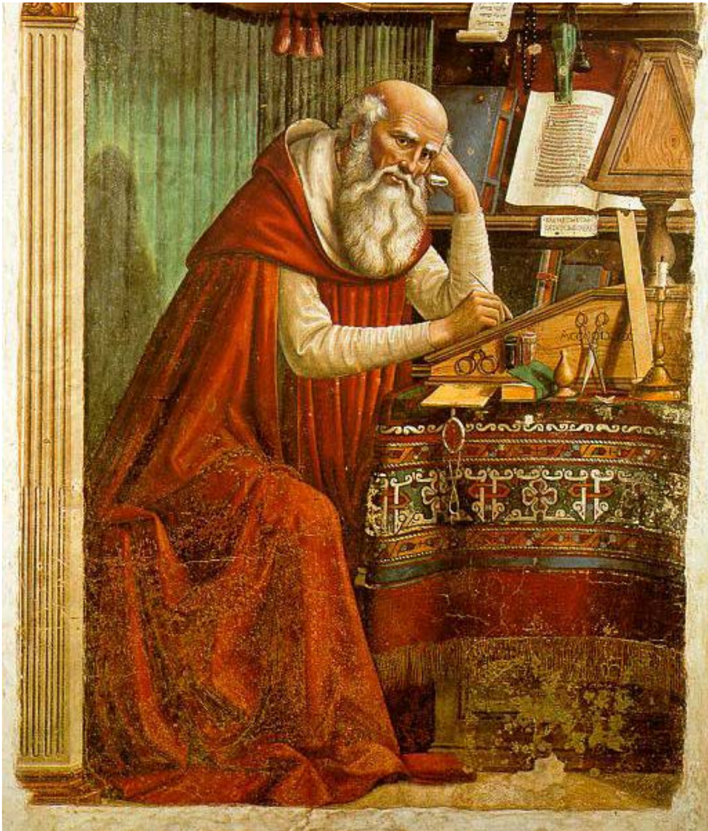
تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

شريف حوا

ويتساءل ترتليان: «هل المرأة جميلةٌ؟ تلك هبةٌ طبيعيةٌ لا بدّ من طمسها، وذلك عن طريق تجاهلها وإهمالها، بوصفها أمراً خطيراً على عيون الناظرين». لذلك: «كل امرأة ينبغي عليها أن تضع حجاباً وخماراً على وجهها..». وذلك كله أمرٌ حتميٌّ توصل إليه بعد أبحاثه التي عبّر عنها بالقول: «كلما بحثت بين النساء جميعاً عن العفة المناسبة فإنني لا أجد منها شيئاً. إن المرء قد يجد رجلاً عفيفًا بين ألف رجلٍ، لكنه لن يجد ذلك قطّ بين النساء».

اتفق آباء الكنيسة بصفةٍ عامةٍ كما لو أن الأمر أقرب إلى البديهية، على أن الزواج يمثّل وضعًا أدنى من الناحية الأخلاقية من «العذرية»، ومن ثم لا يمكن تبرير العملية الجنسية إلا أنها وسيلةٌ لإنجاب الذرية. أما ترتوليان فقد وضع تدرجاً لترتيب النساء: «العذراء أولاً ثم الأرامل ثانياً وأخيراً الزوجات».

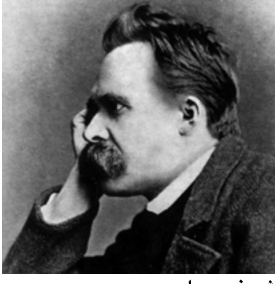
وقد حرّم ترتليان النساء من القيام بعملية العماد، حيث يفضّل أن يقوم بها الأسقف قبل أيّ إنسانٍ آخر، ثم القسيس أو الكاهن، أو شيخ الكنيسة ثم الشمامسة من الرجال، فإذا لم يوجد أحد هؤلاء فليقم بالتعميد عابر سبيلٍ، أو رجل الشارع، لكن لا يجوز في جميع الحالات أن تقوم امرأةٌ بهذه العملية. ويعتمد في هذا التحريم على القديس بولس، يقول: «كيف يمكن لنا أن نصدّق أن من حرم على المرأة حتى أن تعلم (يقصد بولس)، سوف يعطي للأنثى سلطة التعميد؟ لتصمت نساؤكم ولتستشر أزواجهنّ في المنزل..»[22].



القديس جيروم (345 – 420)[23]:

فيلسوفٌ من أكبر لاهوتيي الكنيسة المسيحية في عهودها الأولى، ويقول «راسل» إنه واحدٌ من أربعة رجالٍ يطلق عليهم أساتذة الكنيسة الغربية (هم القديس أمبروز، والقديس جيروم، والقديس أوغسطين، والبابا جريجوري).

هاجم جيروم الجسد، بل الزواج نفسه، وإنجاب الأطفال، واعتبرها من علامات الفسق والانحطاط الأخلاقي، فهو يقول: «جسد الأنثى ليس شيئًا جذابًا بل موضوعٌ قذرٌ، وإنجاب الأطفال ليس مدعاةً للبهجة والفرح، بل علامةٌ على الانهيار والتدهور».



شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

ومن الأفكار الغريبة التي عرضها جيروم نصيحته للعذراء أن تقلع عن الاستحمام لكي تخمد «النيران النائمة»، فيقول: «أنا أعلم أن بعض الناس وضعوا قاعدة أنّ العذراء المسيحية ينبغي عليها ألا تستحم مع خصيانٍ أو نساءٍ متزوجاتٍ، لأن الخصيان لا يزالون رجالاً في قلوبهم، وللنساء المتزوجات نظراتٌ ناريةٌ للعذارى. أما أنا فأستهجن الاستحمام تماماً للعذراء الناضجة؛ إذ ينبغي عليها أن تخجل من نفسها وأن تعجز عن النظر إلى نفسها، وهي عاريةٌ تماماً. فإذا ما أماتت الجسد بالصوم والصلاة وإذا ما أطفأت جذوة الشهوة وكبحت جماح حرارة رغبات الشباب بالعفة الباردة، وإذا ما أسرعت بإفساد جمالها الطبيعي بالقذارة المتعمدة، فلِمَ توقظ النيران النائمة عن طريق الاستحمام؟»[24].

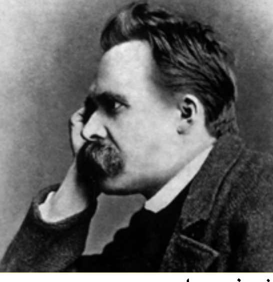


القديس يوحنا ذهبي الفم (345 – 407)[25]:

من أقواله:

«كم عانينا كثيراً من عددٍ لا حصر له من الشرور والآثام بسبب تمسكنا بالمرأة نعود إلى البيت ونستسلم لرغباتٍ جامحةٍ، ثم نعاني القلق أياماً وليالي إن جمال المرأة لهو الشرك الأعظم» .. «ينبغي على الشاب أن يبتعد عن الفتاة الشابة، مثلما يبتعد عن النار».

وفي كراسةٍ دينيةٍ عنوانها «نصيحة إلى تيودور بعد سقوطه» يقول فيها: «عليك يا تيودور أن تفكر بإمعانٍ في النتائج المترتبة على ارتباطك بالمرأة، بل بالنساء عموماً، عليك أن تفكر مرّتين في هذا الأمر، فكّر فيما ارتكبه داوود من زنا، وفي ارتداد سليمان. ثم عليك أن تتأمل ملياً في الطبيعة الحقّة لذلك الجمال الأنثوي الذي توشك من أجله أن تتخلى عن فضيلتك».


شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

وهناك عبارةٌ جامعةٌ تلخّص رأي القديس يوحنا ذهبي الفم: «من بين وحوش البرية المفترسة يستحيل عليك أن تجد حيواناً أشدّ أذى من المرأة»، كما أنه يستبعد كون المرأة صورة الله [26].



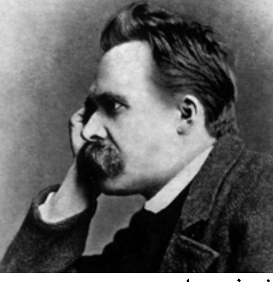
القديس أوغسطين (354 – 420)[27]:

1. حياته:

كان القديس أوغسطين أعظم آباء الكنيسة الكاثوليكية ومن أهم فلاسفتها، ولد في طاجست التي تعرف اليوم بسوق الأخرس في شرق الجزائر في 13 نوفمبر عام 354، وتوفي في هبون المعروفة اليوم باسم بونة غرب تونس في 14 أغسطس عام 430. وكان أبوه وثنيّاً بينما كانت أمه مونيكا مسيحية شديدة الإيمان. وكان شمال أفريقيا آنذاك ولايةً رومانيةً يحكمها قنصلٌ رومانيٌ يقيم في قرطاجة. درس في طاجست النحو وبعض العلوم الأخرى، وكان قد تعلّم اللاتينية لكنه كره اليونانية. ثم درس القانون، واعتنق المسيحية بعد تأثره بالأفلاطونية الجديدة.

وهو يروي في كتابه الاعترافات كيف اقترف الإثم حتى في المراحل المبكرة من حياته، منها السرقة، والزنا. وقد اشتهر بمغامراته النسائية وارتكاب المعاصي والخطايا. فلما بلغ سن المراهقة، غلبته شهوات الجسد، وغرق في أتونها حتى الأذنين: «أحرقني العطش إلى الملذات الجهنمية، دفعتني وقاحتي إلى الاستمتاع بشتى أنواعها فتشوّه جمالي، أصبحت قذارة أمام ناظريك»[28].

وأخيراً استقرّ على خليلةٍ واحدةٍ، وهي امرأةٌ غانيةٌ أحبّها، مخلصاً لها الحبّ أعواماً طوال: «اتّخذت لي زوجةً ولم تكن شرعيةً، اتخذتها إشباعاً لشهوةٍ جامحةٍ ولم يكن لدي سواها». وأنجبت له طفلاً وهو ابن ثماني عشرة عاماً كان يطلق عليه اسم «ابن خطيئتي» أحياناً، وفي أحيانٍ أخرى يلقبه: «هبة الله»[29].


شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

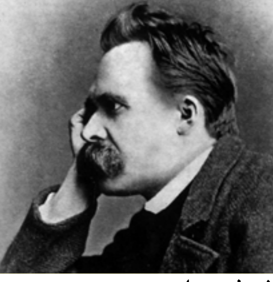
2. أوغسطين والمرأة:
كانت نظريته عن طبيعة الإنسان من الناحية الفلسفية أفلاطونية خالصة[30]: فالإنسان عنده روحٌ مسجونةٌ في البدن. أما من الناحية اللاهوتية فبما أن الله ثالوثاً (الأب - الابن - الروح) فإن صورته البشرية ثلاثيةٌ من خلال قوى روحيةٍ ثلاثيةٍ في الإنسان: الذاكرة، العقل، الإرادة. وناقش أوغسطين إشكالية التمييز بين المرأة والرجل التي طرحها بولس. ووجد مخرجاً لها في قوله: «إنّ الحلّ في رأيي هو أن المرأة مع زوجها هما معاً صورة الله وإنما جوهرٌ واحدٌ يشكّل الصورة، أما عندما يصف الكتاب المقدس امرأة أنها المساعد والمعين للرجل، فإنه في هذه الحالة يحدّد الوظائف التي تخصّها وحدها، ومن ثم فهي هنا ليست على صورة الله في حين أن الرجل بذاته هو صورة الله، سواءٌ أكان بمفرده أم مع المرأة».

وبتعبيرٍ آخر فالمرأة إذا نظرنا إليها على أنها روحٌ فهي صورة الله. أما حينما ننظر إليها من حيث وظيفتها أي كجسدٍ لوجدناها تنتمي إلى الأمور الدنيوية وهي تكون موجودٌ أدنى. وكلّما اهتمّت المرأة بالأمور الجسدية والدنيوية الزائلة فهي بحاجة إلى كابحٍ، لذا لا بدّ أن تكون هناك سيطرةٌ على رأسها، وهو ما يمثّله الحجاب الذي يعني أن هذه الرأس لابد أن تضبط.

أما موقفه من البغاء فتمثّل في قوله: «أيّ شيءٍ يمكن أن يكون أكثر خسّةٍ ودناءةٍ ويملأ الإنسان بالخزي والعار من موضوع البغايا، وبيوت الدعارة وألوان الشر من هذا القبيل، ومع ذلك فلو أنك أزلت البغاء من أنشطة البشر، فسوف تجد أن الشهوة تدنّس أشياء كثيرةً، ولو أنك وضعت البغايا بين النساء فسوف تضفي الفحش والقذارة على أمورٍ كثيرةٍ».

وسوف يركّز القديس توما الأكويني فيما بعد على هذه الفكرة ذاتها مع شيءٍ من الزخرفة، وهي الفكرة التي سمّتها ماري ديلي حكمة الذكر عندما يقول: «البغاء في هذه الدنيا أشبه ما يكون بنجاسة البحر، أو بالوعات المجاري في القصور غير أنك إن أزلت بالوعات المجاري لملأتها بالتلوّث، وبالمثل لو أنك أزلت البغايا والعاهرات من الدنيا لملأت العالم باللواط». ومن هنا فإن القديس أوغسطين يقول: «إن المدينة الأرضية قد استخدمت العاهرات، وجعلت منهن عملاً لا أخلاقياً، لكنه مشروعٌ أو قانونيٌّ، ولعلّ هذا ما كان يقصده لكي مؤرخ الأخلاق عندما وصف العاهرات بأنهنّ أعظم حراس للفضيلة».

ويرى أوغسطين أنه في يوم القيامة سوف يطمس الجنس تماماً وتزول الشهوة نهائياً، ولقد كانت الفكرة السائدة في الكنيسة آنذاك قولهم إن صورة المرأة سوف تنقلب رجلاً يوم القيامة، فلا قيامة للسيدات مستندين إلى أقوال القديس بولس: «إننا ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان، ومعرفة ابن الله إلى إنسانٍ كاملٍ» (أفسس 4 : 13) وكذلك قوله لأن الذين سبق وعرفهم: «سبق فعيّنهنّ ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوان كثيرين». فقد استنتج البعض من هذه القوال أن كل من يبعث حياً لا بدّ أن يكون مشابهاً صورة ابنه فيكون مثل المسيح رجلاً، فالنساء على


شريف حوا

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

هيئة الرجال، ولا سيما أن الله قد خلق الرجل من طينٍ، وخلق المرأة من جنب الرجل، ويقول أوغسطين في هذا: «وأنا أعتقد أن كل من يأخذ بهذا الرأي يتصوّر الأمر حشيّاً، وينسى أنه في الحياة الآخرة لن تكون هناك شهوةٌ جنسيةٌ، وهي مبعث الخجل لأن الموجودات البشرية الأولى قبل الوقوع في الخطيئة كان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان» ... (تكوين 2 : 25)

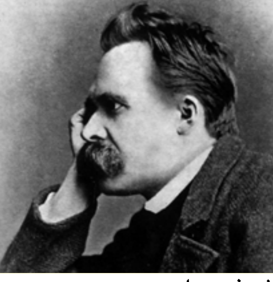
ولم يكن في مقدور أوغسطين أن يفسّر نزعة الإرادة البشرية إلى الشر بأكثر من أنها نتيجةٌ لخطيئة حواء وحبّ آدم لها، ويقول أوغسطين: «إننا ونحن جميعاً أبناء آدم نشاركه في إثمه، بل إننا في الواقع أبناء هذا الإثم؛ لأن الخطيئة الأولى كانت نتيجة شهوته، ولا تزال هذه الشهوة تدنّس كلّ عملٍ من أعمال التناسل، وبفضل هذه الشهوة الجنسية كان الجنس البشري جميعاً من الخاسرين، وحلّتِ اللعنة على الكثرة الغالبة من الآدميين...»[31].

= العصور الوسطى =

«الله خلق العالم على شكل مثلثٍ: ضلعٌ يحكم، وضلعٌ يصلّي، وضلعٌ يخدم الضلعين الآخرين»
- ألفريد العظيم[32]

يعدُّ القرن الخامس بمثابة بدايةٍ لتاريخ العصور الوسطى، حيث كانت الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت ضعيفةً جداً، لدرجة أن القبائل الجرمانية كانت قادرةً على فتحها، واتّحد أسلوب الجرمان في الحياة مع أسلوب الرومان في الحياة، تدريجيّاً، وشكّلا الحضارة التي نطلق عليها حضارة العصر الوسيط التي تمتدّ حتى القرن السادس عشر الميلادي[33].

تميزت العصور القديمة بسيطرة الوثنية وعبادة الآلهة المتعددة، أما في القرنين الرابع والخامس ظهرت وانتشرت الديانة المسيحية مع اعتراف «قسطنطين الأول الكبير» بالمسيحية كديانةٍ رسميةٍ للدولة. وكانت الكنيسة القوة الحضارية الرئيسية في العصور الوسطى المبكرة في أوربا الغربية. ومع أن أبناء أوروبا لم يعودوا يدينون بالولاء لحاكمٍ واحدٍ –حيث انتشرتِ الإقطاعيات، ومعظم الشعب كانوا من الفلاحين الذين يعملون لدى السادة- إلا أنهم بدؤوا تدريجيًا يتّحدون تحت ظل الكنيسة. وتولى البابوات والأساقفة وظائف حكوميةٍ عديدةٍ بعد أن فقد الأباطرة الرومان السلطة. وجمعتِ الكنيسة الضرائب واحتفظت بالمحاكم التشريعية لمعاقبة «المجرمين»[34].



شريف حوا

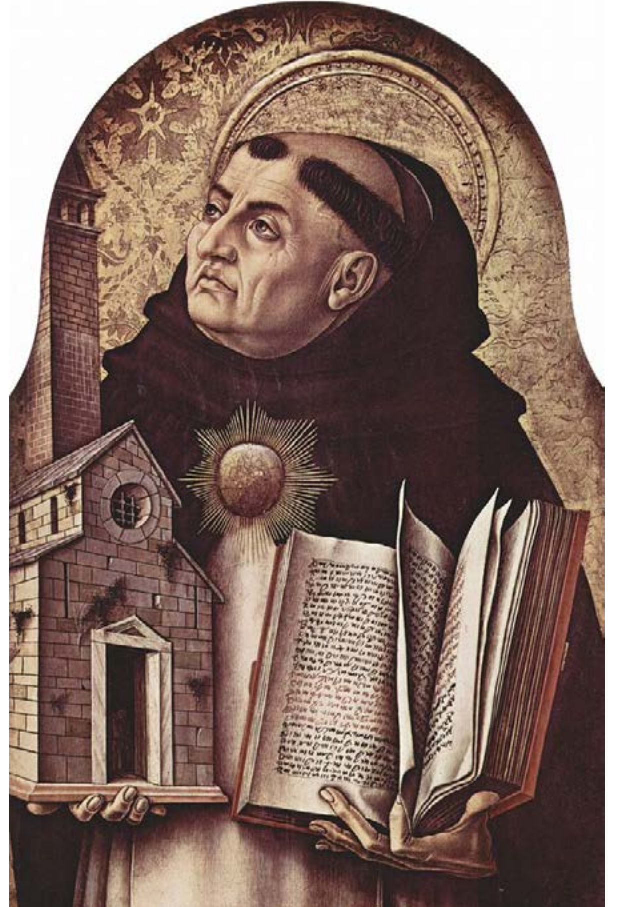
تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة

ظلت المرأة ينظر لها باعتبارها قاصرًا لا يحقّ لها أن تتصرف بأموالها دون إذن ولي أمرها الرجل زوجًا كان أو أبًا أو أخًا، وفي حال عدم وجود أيٍّ منهم يكون كاهن الكنيسة وليها لقرونٍ عديدةٍ.

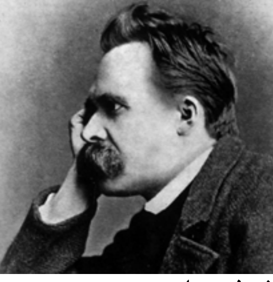
وذكر الفيلسوف الإنجليزي «هربرت سبنسر» أن الزوجة كانت تُباع في إنجلترا خلال القرن الحادي عشر، وقد سنت المحاكم الكنسية في هذا القرن قانوناً، ينصّ على أن للزوج أن ينقل أو يُعير زوجته إلى رجلٍ لمدةٍ محددةٍ.

نختم حديثنا هنا بقول برنارد سيفر: «أوصيكم أيها الرجال ألا تضربوا زوجاتكم هنّ حاملات، فإن ذلك أشدّ خطرًا عليهن، ولست أعني بذلك أنكم لا تضربوهن، ولكن الذي أعنيه أن تختاروا الوقت المناسب لهذا الضرب. ثم يستطرد قائلا: أنا أعرف أن رجالاً يهتمون بالدجاجة التي تضع البيضة كلّ يومٍ، أكثر من الاهتمام بزوجاتهم، فقد تُكسر الدجاجة وعاءً أو قدحًا أحيانًا، ولكن الرجل لا يضربها خشية فقد البيضة، وكان كثيرًا من الرجال، لا يطيقون سماع كلمة من زوجاتهم، وذلك أن الرجل إذا سمع كلمة من زوجته، يرى أنه نابية، عمد من فوره إلى عصا وشرع يضربها، أما الدجاجة التي لا تنقطع عن – الوقوقة – طوال النهار فإنه يصبر عليها من أجل البيضة»[35].

القدّيس توما الأكويني (1224 – 1274)[36]:



أعظم فلاسفة المسيحية في العصر الوسيط على الإطلاق، لقّب بالمعلم الجامع للكنيسة، وكذلك بـ «المعلم الملائكي» كما وصفت فلسفته أنها سمفونيةٌ عقليةٌ تتعاقب أنغامها في اتساقٍ وانسجامٍ. وقيل عن مؤلفاته الغزيرة إنها كاتدرائيةٌ هائلةٌ من الأفكار، حتى أعلن البابا عام 1323 أن الأكويني «قديس وأن التوماوية «منحةٌ إلهيةٌ»»، فقد وجدت الكاثوليكية في كتبه أسلحةً فلسفية مهمةً لمحاربة الهراطقة والإلحاد واللاأدرية، ولا يزال تأثيره عظيماً في الكنيسة الكاثوليكية، وفي الفكر المسيحي عامةً، إذ لم تتوقف قيمته عند العصور الوسطى، بل امتدت إلى العصور الحديثة، بدليل أننا نشهد اليوم في العالم الغربي حركاتٍ توماويةٍ جديدةٍ يحاول أصحابها الارتداد إلى نزعة القديس توما الإنسانية المسيحية، ويسعون جاهدين في سبيل حلّ مشكلات الإنسان الغربي المعاصر في ضوء الأصول العامة للفلسفة اللاهوتية التي وضع دعائمها القديس توما الأكويني[37].


شريف حوا

تطور النظرة المسيّحيّة تجاه المرأة

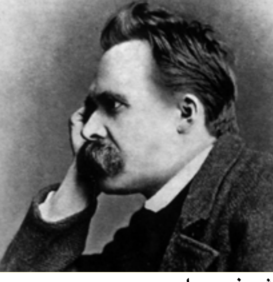
وكان المجتمع في العصور الوسطى يتكون من الأحرار (الأعيان، ورجال الدين، والجنود، والتجار .. إلخ) ورقيق الأرض والعبيد. وكان بابا روما لبعض الفترات يمثّل الله على الأرض، كما كان يسمّى الأب المقدّس وكان أقوى من كثيرٍ من ملوك وأباطرة الأمم الأوربية، ومن ناحية أخرى فقد أصبحت الكنيسة ونظرياتها جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية لكل شخصٍ في أوروبا.

كانت القوانين الكنسية تحرّم على العبيد أن يكونوا قساوسةً، أو أن يتزوجوا من المسيحيات الحرائر. في الوقت الذي كان القديس توما الأكويني يفسر الاسترقاق على أنه نتيجةٌ لخطيئة آدم، وأنه وسيلةٌ اقتصاديةٌ في عالمٍ يجب أن يكدح فيه بعض الناس ليمكّنوا بعضهم الآخر من الدفاع عنهم. وهي آراءٌ تتفق تماماً مع نظرية أرسطو في الرق.

وفي النظرة للمرأة، كانت قوانين ونظريات رجال الكنيسة معاديةً للمرأة، بل غالت في إخضاعها. فقد ظلت -كما كانت عند يوحنا ذهبي الفم- شرًّا لا بدّ منه، وإغراءً طبيعيًا، وكارثة مرغوبًا فيها، وخطراً منزلياً، وفتنة مهلكة، وشرًا عليه طلاء. وكانت حواء لاتزال مجسدةً في كلّ مكانٍ، فحواء هي التي خسر بها الجنس البشري جنّات عدنٍ، وهي أداة الشيطان المحببة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم. وكان كلاً من القانونين المدني والكنسي يجيز ضرب الزوجة، وينصّ على ألا تسمع للنساء كلمةً في المحكمة «لضعفهن» ويعاقب على الإساءة للمرأة بغرامةٍ تعادل نصف ما يفرض على الرجل نظير هذه الإساءة نفسها. وكان الزواج قد أعطى الززوج الحق الكامل في الانتفاع بكلّ ما للزوجة من متاع وقت الزواج، والتصرّف في ريعه.

كان توما الأكويني في العادة رسول الرحمة يتحدث عنها كما يتحدث الرهبان؛ فينزلها منزلة الرقيق، يقول: «إن المرأة خاضعةٌ للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معاً. والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها، كما أن الله مبدأ كلّ شيءٍ ومنتهاه. وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة، أما العبد فليس كذلك. ويجب على الأبناء أن يحبّوا آباءهم أكثر مما يحبّون أمهاتهم»(38). ويحمل خضوع المرأة للرجل -بحسب الأكويني- معنى مزدوجًا: خضوع العبودية وبفضله يستخدم الأعلى من هو أدنى ويستغله لمصلحته، ولقد بدأ مثل هذا النوع من الخضوع بعد الخطيئة. فهناك خضوعٌ مدنيٌّ أو اقتصاديٌّ يستخدم فيه الأعلى من هو أدنى لمصلحته الخاصة وللخير وهو موجودٌ حتى قبل الخطيئة. ومن هنا كان خضوع المرأة للرجل يعود لاستحواذ الرجل على ملكة العقل، بينما تسود وتغلب العاطفة والانفعال لدى المرأة. لذا فكان لا بد لله أن يخلق المرأة من ضلع الرجل، لأنه ليس من الصواب أن تُخلق من رأسه، لأنه لا ينبغي أن يكون للمرأة سلطانٌ على الرجل، كما أنه لا يجوز خلقها من قدمه لكي لا تتعرض للاحتقار من قبل الرجل باعتباها جاريةً. وهكذا كان أنسب مكان هو: ضلع الرجل[39].

تطور النظرة المسيحيّة تجاه المرأة


شريف حوا

وهو يرى أن دور المرأة الأساسي يوجد في التناسل، فيقول: «إننا نحتاج للمرأة للمحافظة على الجنس البشري، ولإمدادنا بالطعام والشراب أيضاً، وإن كان دورها الفريد الذي لا نظير له إنما يوجد في الحمل، ما دامت الأهداف البشرية الأخرى يستطيع الرجل أن يقوم بها على نحو أفضل بمساعدة غيره من الرجال». ويتابع في القول: إن الأساس في عملية تشكيل الجنين هو مني الرجل وحده، فهو العامل المؤثر الفعال في اللقاح، ولا يتعدّى دور ضم الجنين في رحمها، وإمداده بالطعام وبالمواد المغذية للجسم.

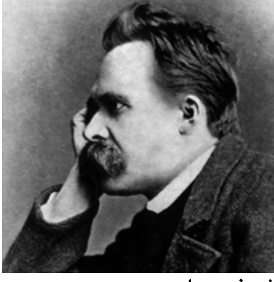
ولا يخفي الأكويني نظرته الدونية تجاه المرأة بل يعبّر عنها بكلّ وضوحٍ بقوله: «فيما يتعلق بالطبيعة الفردية للمرأة، فإننا نجد أنها موجودٌ ناقصٌ، ومشوّهٌ، ومعيبٌ، ذلك لأن القوة الإيجابية عند الذكر تتجه لإنتاج مولودٍ يشبه الذكر تماماً. فإن جاءت المولودة أنثى دلّ ذلك على نقصٍ في القدرة الإيجابية».

وفي قسمٍ أخيرٍ من الخلاصة اللاهوتية يقتبس الأكويني -باستحسانٍ- تأكيد أرسطو على أن النساء لا يمكن وصفهن أنهن عفيفات، لأنهن «يتأرجحن» لعدم استقرار العقل والانقياد؛ فهن يتبعن العواطف والانفعالات الطاغية. وهو يجمع النساء مع الأطفال والمرضى والبله، ليقدم دليلاً مؤكداً على نقص العقل عندهن.

= خاتمة =

لم يتحسّن وضع المرأة مباشرةً بعد انتهاء ما يعرف اصطلاحاً بالعصور الوسطى، بل لا نكاد نلحظ اختلافاً يذكر من ناحية مكانتها. فقد كتب بلاكستون في شروحه على قوانين انجلترا سنة 1765 يقول: «إن القيود التي ترزح تحتها المرأة، يُراد بها في الغالب حمايتها وخيرها»، ذلك أن القانون الإنجليزي يؤثر المرأة بعطفٍ شديدٍ، ومع ذلك فإن هذه المرأة التي آثرها القانون هذا الإيثار الشديد، حُرمتْ من كلّ حقٍّ مدنيٍّ، وحيل بينها وبين التعليم وكلّ شيءٍ، ما عدا أحط موارد الكسب، لا بل كان عليها التنازل عن كلّ ثروتها عند الزواج [40].
استمر إرث الديانة المسيحية حاضرًا وماثلاً حتى الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، فمع أنها أعلنت تحرير الانسان من العبودية، إلا أنّها لم تشمل المرأة، حيث نصّ القانون الفرنسي على أن المرأة ليست أهلاً للتعاقد، دون رضا وليّها إن لم تكن متزوجة. وقد جاء بنص القانون الذي جاءت به الثورة التحررية أنّ القاصرين هم «الصبي والمجنون والمرأة». واستمر ذلك حتى عام 1983 م حيث عدّلت هذه النصوص لمصلحة المرأة[41].





شريف حوا

= المراجع =

(1) فريدريك انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة

(2) عبد المجيد حمدان، العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، مكتبة جامعة دمشق، قسم التاريخ، كلية الآداب

(3) د. اسمت غنيم، امبراطورية جوستنيان، دار المجمع العلمي بجدة

(4) عادل نجم عبو وعبد المنعم رشاد محمد، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، دار الكتب

(5) المصدر السابق

(6) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص24

(7) ديب علي حسن، المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات

(8) عبد السلام الترميني، الرق ماضيه وحاضره، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

(9) فاضل الأنصاري، العبودية - الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي

(10) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة

(11) المصدر السابق، ص36

(12) فاضل الأنصاري، العبودية - الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي ص182

(13) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص48-58

(14) المصدر السابق، ص49، وإنجيل ثيكلا

(15) المصدر السابق، ص63-64

(16) اعترافات القديس أوغسطين ص30

(17) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص11

(18) إدوارد جيون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ص 171

(19) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص65

(20) المصدر السابق، ص73

(21) سيمون دوبوفوار، الجنس الآخر، ص129 + 129

(22) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص87

(23) المصدر السابق، ص91

(24) برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية

(25) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص105

(26) القس نصرالله زكريا، الزواج في المسيحية، ص41

(27) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص111

(28) اعترافات القديس أوغسطين ص165-166

(29) المصدر السابق، ص58

(30) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص248

(31) ماري بريودي، فلسفة المرأة

(32) أشرف صالح محمد سيد، تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى، ص24

(33) المصدر السابق، ص12

(34) المصدر السابق نفسه

(35) ول ديرانت، قصة الحضارة، ج 4 جزء 5 ص 102، 101

(36) إمام عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة

(37) ميخائيل ضومط، توما الأكويني، المطبعة الكاثوليكية ص138

(38) ول ديرانت، قصة الحضارة، المجلد السادس عشر، ص187

(39) المصدر السابق، ص188

(40) Women›s Studies International forum 33, 12/2010/03

تم تدقيق جميع الأحداث التاريخية والاقتباسات الواردة على لسان القديسين بالاعتماد على موقع:

http://st-takla.org/

الدين عندما ينتهك إنسانيّتنا

لاديني بالفطرة

أرشيف المنتدى الأم

هل الدين ببعده التراثي والقيمي والفكري يصلح كمنظومةٍ إنسانيةٍ ترتقي بالحس والشعور الإنساني أم يُمارس من خلاله دورٌ تخريبيٌ فى تشويه الإنسان النفسي والمعنوي ويرتدّ به عن مسيرةٍ حضاريةٍ طويلةٍ من الرقيّ الإنساني.

هذا ما نحاول إلقاء الضوء عليه فى التأملات التالية .



الدين عندما ينتهك إنسانيّتنا

لاديني بالفطرة

القسـوة:

عرف الإنسان القسوة والعنف عندما عرف الحياة، فكانت هي وسيلته الطبيعية فى التعامل مع الطبيعة القاسية وجهله بفهم مفرداتها، وقد يُعزى هذا السلوك الهمجي والمتوحش لانحداره من المملكة الحيوانية بما تحمله من فطرية التوحش والصراع .

مع تطور المجتمع الإنساني، أصبح هناك مرونةٌ وليونةٌ فى التعامل مع الواقع ولكن ظلّت القسوة والعنف تحت الجلد تجد لها متنفسًا فى المشاحنات والقتال والحروب، فيكون الدين والمعتقد هو الصورة المثالية للتعبيرعن قسوتنا المعهودة، وإيجاد متنفسٍ وغطاءٍ لتفريغ طاقات القسوة والغضب ضد الآخر باعتباره خارجٌ عن الجماعة البشرية التى تمثل الهوية المتفردة .

فنحن المؤمنون فقط وكل من يخالفنا في اعتقادنا هم ملعونون من إلهنا وسيكونون من أهل الجحيم، إن لم يكونوا هم وقود الجحيم .

يصبح من السهولة بمكان أن نتقبّل بكل قسوةٍ أن يُعذَّب إنسان إلى مالانهاية (لاحظ معي كلمة مالانهاية) لمُجرّد أنه وُلد فى الزمان الخطأ والمكان الخطأ !!.. المثير للدهشة أن المؤمنين على كافة أطيافهم يقبلون هذا الأمر بدون غضاضةٍ أو شفقةٍ ودون أن يغمض لهم جفن .

أن يقبل المؤمن بكل برودٍ، فكرة أن أطفال غير المؤمنين مصيرهم إلى الجحيم أو على أقل تقديرٍ أن يكونوا خدمًا وعبيدًا لأطفال المؤمنين أو قُل هم خارج الحسابات الإلهية ...ولكن فى كل الأحوال لن يكونوا في جنتنا وجنة أطفالنا، لأن حظهم العاثر أنهم ولدوا في الزمان والمكان الخطأ !! نحن هنا أمام مشاعرٍ لم تتطّهر من القسوة والفظاعة والغباء أيضاً.

أن نتوقّع لظالمينا حفلةً حافلة ًبجميع ألوان العذاب إلى مالانهاية من الزمن (أقول ثانيةً إلى مالانهاية) لمجرد أنهم ظلمونا في حياتنا في لحظةٍ معينة، كان من الممكن أن نسامحهم فيها على الأرض، ولكننا جعلنا فكرة الله تعاقب بلا حدود، أو أننا في لحظة غضبنا نعاقب بلا حدود!! .

أن يكون الانتقام والقسوة لا نهائيين ولا يتناسبان مع حجم الفعل، هذا يُكرس فينا بالضرورة قمة امتلاك القسوة والوحشية .

الدين عندما ينتهك إنسانيّتنا

لاديني بالفطرة

أن نرى معاناة الإنسان في عالمنا من فقرٍ وجوعٍ وكوارث ولا يُحرك فينا سوى الكلمة التخديرية عن حكمة الله فيما يفعله مع إخوتنا في الإنسانية ...أو قُل هو عقابٌ إلهيٌ على كفرهم أو خطاياهم، فهنا نحن أمام قسوةٍ مصحوبةٍ بالتبلد .

أن نرى الكارثة والفجيعة التي تحلّ على جماعاتٍ بشرية فنبحث أولاً عن بطاقات هويتهم الإيمانية قبل أن نُبدي أي تعاطفٍ أو فتور، فإذا كانوا منا فلا بأس من التعاطف والبكاء مع مدّ يد المساعدة، وإذا كانوا من خارج قطيعنا فلا يُذرف عليهم حتى الدمع وإنما هم فجرةٌ استحقوا عقاب وقسوة الله .

أن نقبل بكل السعادة والحبور رجم أوجلد رجلٍ وامرأةٍ التقوا مع بعض في لحظة حبٍ واحتياجٍ خلقهم بها المدعو الله ..وكانت جريمتهم أن الفعل تمّ بدون مقايضةٍ ومهر.

أن نقبل بكل التهليل والتكبيرمنظر قاتلٍ تُقطع رأسه لتنطلق منه نافورة دمٍ تُرضى قسوتنا ووحشيتنا الكامنة البدائية، فإذا كان لابدّ من إعدام القاتل ..فما الفائدة من ذبحه ؟

ماذا نجني من هذا المنظر البشع سوى قتل أي شعورٍ رحيمٍ في داخلنا وإحلال كل البشاعة والهمجية .

أن نقبل بدمٍ بارد قتل إنسان لمجرد أنه اختار أن يخرج عن ديننا، فمجرد قبولنا هكذا فكرة لا يجعلنا قساةً فقط بل يُخرجنا من رحم الإنسانية .

الأديان جاءت معبرةً عن منظومةٍ حياتيةٍ لإنسانها القديم بلحظته التاريخية ودرجة تطوره الحضاري والثقافي ولكن أن يتم إقحام هذه المنظومة في عالمنا المعاصر فهذا إلغاءٌ لتاريخٍ إنسانيٍ طويل من التطور والمعاناة نحو عالمٍ إنسانيٍ أفضل لتحل مكانها شريعة القسوة وكل النزعات البدائية والهمجية .

التشبث بتراث الأديان هو إرتدادٌ إلى قسوتنا القديمة وإستحضارٌ لهمجيتنا في عنفوانها .

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

مجلّة الملحدين العرب مجلة رقمية مبنية بجهودٍ فرديةٍ؛ ولا تتبنّى أيّ توجّهٍ سياسي؛ هدفها نشر أفكار الملحدين على اختلاف توجّهاتهم وانتماءاتهم بحريّةٍ كاملةٍ.

المعلومات والرسومات والمواضيع المطروحة تُعتبر مسؤولية أصحابها من الناحية الأدبية وناحية حقوق النشر وحفظ الملكية الفكرية.

الناشرون هم من أعضاء مجموعة مجلة الملحدين العرب، أو من الكتاب الملحدين واللادينيين ممن تمّ التواصل معهم لأخذ الإذن بالنشر.

يمنع نشر كل ماهو منافٍ للأخلاق العامة، وكذلك التحريض أو التصريحات العنصرية.

لهيئة التحرير الحقّ في نشر ما تراه مناسبًا من المواضيع الموجودة في مجموعة المجلة على الفيس بوك ، فنشر أيّ موضوعٍ ضمنها يُعتبر تفويضاً للمجلّة بنشره.





موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com

البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com
magazine@arabatheistbroadcasting.org